كتاب التذكر ٩

من فضل الله على عبده الفقير
الى الله جعفر بن ابي بكر بن
بن عبد الله مسلم باعلوي
الحسيني حرر فاتحة
شهر رمضان ١١٥٥ سنة

XCIX/
1015

ستركل المرخي علي فضيحتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن
عذابك الان من يستنقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك
عني واسواتاه من الوقوف بين يديك غدا اذ قيل للمخفين جوزوا
وللمثقلين خطوا مع المخفين اجوزام مع المثقلين اخط
ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت
معاصي فمن كم اتوب وفي كم اعود اما ان لي ان استحي من
ربي هذه طرق التوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم
واما مطلبهم من المناجات الاسترضاء ومقصودهم من المعاتبة
التنبه والاستيقاظ فمن اهل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا
ويكون ان لا يكون الله عنه راضيا والسلام تم كتاب المحاسبة
والمراقبة بحمد الله وحسن عونه يتلوه انشاء الله تعالى كتاب
التفكر وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين وسلم تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد

كتاب التفكر وهو التاسع من ربع المنجيات

الحمد لله الذي لم يقدر انتهاء عزته لخواطر الافكار ولم يجعل لمرمى اقدام الافهام ومرمى سهام الافهام على حمى عظمته مجرى بل يترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرا كلما اهتزت لنيل مطلوب بجاريتها سبحات الجلال تحسرا واذا همت بالانصراف اياسة رجعت من سرادقات الجمال صبرا صبرا فسبحانك يا جلي في ذل العبودية عنك فكرا انك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدر له قدرا وان طلبت والا التفكر في صفاتك امرا فانظري في نعم الله واياديه كيف توالت عليك تترا وجدي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار القادر كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا ونورا وحسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا وابجا وزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا لم وخاطرت بنفسك مجاوزا احداطاقة البشرية فلما وجدا نقد انبحرت

العقول

العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا
وتقرار والصلوة على سيدنا محمد اذ كان سيد ولد ادم ولم يعد
بعد سيادته فخرا صلوة تبقي لنا في عرصات القيمة عدة و
ذخرا وعلى اله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء
الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم كثيرا اما بعد
فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة
وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر و
الافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار وصدا الاستبصار
وهو سبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس
قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره
ومورده ومجراه ومسرحه ومريقه وكيفيته ولم يعلم انه كيف
يتفكر وبماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به هو مراد
لنفسه او ثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي
من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا وكشف ذلك جميع ذلك
مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقته وثمرته ثم مجاريه

مجاري الفكر ومسارحه انشاء الله تعالى فضيلة التفكر وامر
الله تعالى بالتفكر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى
على المتفكرين فقال الذين يتفكرون في خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انه خرج على قوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون
قالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا
في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها
بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما
بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله تعالى طرفة عين
قالوا يا رسول الله فابليس فيهم قال ما يدرون خلق الشيطان
ام لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم ام لا فجاء عن
ان طلحة انا وعبيد ابن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبيننا
وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى
الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرنا بابا عجب شيء رايته

من رسول

من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت فقالت كل امرك كان عجبا
اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد
لربي عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي
فبكا حتى بل لحيته ثم سجد فبكى حتى بل الارض ثم اضطجع
على جنبه الايمن حتى اتاه بلال يوذنه بالصلوة الصبح فقال
يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله تعالى لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد
انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن
قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن
قال يقرأهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع ان رجلا
من اهل البصرة كتب الى ام ابي ذر بعد موت ابي ذر يسالها
عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره ايجه في ناحية يتفكر وعن
الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال
الفكر هو ان تري حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم بن ادهم

انكر تطهير الفكرة فطال الفكر مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا
ما يتمثل ويقول اذا لم يكن لك فكرة ففي كل شيء لك عبرة وعن
طاوس قال الحواريون لعيسى ابن مريم عم يا روح الله هل
على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا و
صمته فكرا ونظره عبرا فانه مثلي وقال الحسن من لم يكن
كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو
ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو ويقول الله تعالى سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم
التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري رض قال قال رسول
الله صلى الله عم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول
الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه
والاعتبار عند عجايبه وعن امرأة كانت تسكن البلاية قريبا
من مكة انها قالت لو تاملت قلوب المتفكرين بفكرها الى
ما ادخر لهم في حجب الغيوب من خير الاخرة لم يصف لهم
في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس

وحده وكان يمر بالهوام فيقول يا لقمان لك تديم الجلوس وحدك
ولو جلست مع الناس كان انس بك فيقول لقمان ان طول
الوحدة اتم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة وقال
وهب بن منبه ما طال فكرة امرء قط الا علم وما علم امرء قط
الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى
من افضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل ابن
عبد الله وزاره ساكتا متفكرا [illegible] قال الصراط وقال بشر
لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى ما عصوا الله تعالى وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة
بل اقلت دينا ابت شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكمه يحساب
فجعل يبكي فقلنا ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب بصري وقلة
عملي وان اقتراب اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم
التفكر وقال ابو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الاخرة وعقوبة
لاهل الولاية والفكر في الاخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال
حاتم من اعتبر بزيد العلم ومن الذكر بزيد الحب ومن التفكر بزيد

الخوف وقال ابن عباس رض التفكر في الخير يدعو الى العمل
به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله عز وجل
يقول في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى
همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه
حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون
بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم بالحكمة
وقال اسحاق ابن خلف كان داود الطائي رح على سطح
في ليلة قمراء متفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى
السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار
من فراشه عريان وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود
رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي يطرح كل من السطح قال فما
شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها المجلس الذي هو الفكرة
في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاسات المحبة
من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال ياليتها من
مجالس ما احلبها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشاعر

استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة وقال ايضا
صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي السلامة
عن التفريط والندم والروية والفكرة يكشفان عن الحزم و
الفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في القصد وقوة في البصيرة
فكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم
وقال ايضا الفضايل اربعة احدها الحكمة ودعائمها الفكرة
والثانية العفة وقوامها الشهوة والثالثة القوة وقوامها
الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فجهزه
اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد منهم في ذكر حقيقتها ويبان
مجاريها بيان حقيقة الفكر ونهرتة اعلم ان معنى الفكر هو
احضار معرفتين في القلب ليستفاد منهما معرفة ثالثة ومثاله
انك ترى الى العاجلة واثر الحيوة الدنيا فاراد ان تعرف ان
الاخرة اولى الايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان
تسمع من غيره ان الاخرة اولى بالايثار فتقلده وتصدقه
من غير بصيرة بحقيقة الامر فيحمل بقلبه الى ايثار الاخرة اعتمادا

علي مجرد قوله وهذا يسمي تقليدا ولا يسمي معرفة والطريق
الثاني ان يعرف ان الامر بقي اولي بالايثار ثم يعرف ان الاخرة
ابقي فيحصل من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان
الاخرة اولي بالايثار ولا يمكن تحقيق المعرفة بان الاخرة اولي
بالايثار الا بالمعرفتين الثالثة يسمي تفكرا واعتبارا وتذكرا
ونظرا وتاملا وتدبرا اما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة
علي معني واحد ليس تحتها معاني مختلفة واما اسم التذكر
والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمي
واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد علي شيء
واحد ولكن باعتبارات مختلفة فان الصارم يدل علي ان السيف
من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الي موضعه
والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوايد وكذلك
الاعتبار ينطلق علي احضار المعرفتين من حيث يعبر عنهما الي معرفة
ثالثة فان لم يكن عبورا لم يكن الا الوقوف علي المعرفتين
فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر فيقع عليه من

حيث

حيث ان فيه طريق طلب معرفة ثالثة فمن ليس بطلب المعرفة العالم
لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكر
او فائدة التذكر تكرار المعارف على القلب لترسخ وبها تنمحي
عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليس
حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا
اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت
معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة
اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل منه نتاج اخرى
فهكذا يتمادى النتاج ويتمادى العلوم يتمادى الفكر الى غير
نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعرفة بالموت او بالعوائق
وهذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى التفكر وانما
اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لعدم راس المال
وهو المعارف التي منها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه
لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة
فلا يربح فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم

والنفس ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضي
الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستمرار تارة
يكون بنور الهي في القلب يحصل في الفطرة كما كان للانبياء
صلوات الله عليهم وذلك عن بر حدا وقد تكون بالتعلم والممارسة
وهو الاكثر ثم المتفكر قد يحضره هذه المعارف فيحصل له الثمرة
وهو لا يشعر بكيفية حصوله ولا يقدر على التعبير عنه لقلة
ممارسته لصناعة التعبير والايراد فكم من انسان يعلم ان الاخرة
اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر
على ايراده والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته الا من المعرفتين
السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الاخرة ابقى من
الدنيا فيحصل له معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار فيرجع
حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة
واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة
والعلم لا غير فانه اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير
حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع

للعلم

للعلم والعلم تابع للفكر وانه خير من الذكر والتذكر ان في الفكر ذكر
او زيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه
من الذكر فاذا التفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة
خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب
ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحزن
مشاهدة وتقويم والذكر قال الله تعالى لعلهم يتفكرون او يحدث
لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فيما له
ما ذكرناه من امر الاخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الاخرة اولى
بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب
الى الرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا وهذه ما عنيناه بالحال اذا
كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها
والثقة عن الاخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال
القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح
في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الاخرة فتحصل خمس درجات
اولها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر

وهو طلب المعرفة المقصودة منها والثالثة حصول المعرفة
المطلوبة واستنارة القلب والرابعة تغير حال القلب عما كان عليه
بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب
ما تجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء
به الموضع فيبصر العين مبصرا بعد ان لم تبصر وتتهيأ الاعضاء
للعمل فكذلك نار نور المعرفة هو التفكر فيجمع بين المعرفتين كما
يجمع بين الحجر والحديد ويولف بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب
الحجر على الحديد حتى باخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث
النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل اليه
مالم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار متى مالم يكن قراه
ثم يتهيأ الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما يتهيأ
الحاجز عند العمل عند ادراك البصر مالم يكن يبصره فاذا ثمرة
الذكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور
ان ينقلب على القلب لا يمكن حصرها فلهذا الوارد مريد ان
يحصر فنون الذكر ومجاريه واما فيما يتفكر لم يقدر عليه كان مجاريه

الفكر غير محصورة وشمراته غير محصورة ثم نحن يجتهد في ضبط
مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى
الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان
تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب
كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم وتلك العلوم تستفاد
من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط المجامع حتى يحصل الوقوف
على مجاري الفكر بيان ان الفكر مجاريه اعلم ان الفكر قد يجري فيما
لا يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما
عرضنا فيما يتعلق بالدين فلنترك القسم الاخر ونعني بالدين
المعاملة التي بين العبد وبين ربه تعالى فجميع افكار العبد
اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما يتعلق بالمعبود
وصفاته وافعاله ولا يمكن ان يخرج من هذين القسمين وما
يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى
وفيما هو مكروه والحاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما
يتعلق بالرب تعالى اما ان نظر في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى

واما ان يكون نظرا في فعالم وملكه وملكوته وجميع ما في السموات
والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام
بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى
لقائه يضاهي حال العشاق فليتخذ العاشق المستهتر مثال
فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يخلو فكره من ان
يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه
فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم با
الفكر فيه وبمشاهدته واما ان تفكر في افعاله اللطيفة
الحسنة الدالة على كمال ذاته وصفاته فيكون ذلك مضاعفا للذته
وشوقه الى المحبوب فان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي
يتسخط من غير محبوبه حتى يتزه عنها او في الصفات
التي يقرب منه وتحبب اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء
خارج من هذه الاقسام فذلك خارج من حد العشق فهو
نقصان فيه لان العشق التام الكامل هو الذي يستغرق العاشق و
يستولي القلب حتى لا يترك فيه متسع لغيره فمحل الله تعالى من قلب

ان يكون كذلك فلا يعد وا نظره وتفكره محبوبه ومهما كان
تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن
مقتضى المحبة اصلا فلنبدا بالقسم الاول وهو تفكره في صفات
نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا
الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا
الكتاب واما القسم الاخر فتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما
هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات و
المعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها
القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات
والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب
الى جميع البدن كالفرار من الزحف عند القتال وعقوق الوالدين
والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر
في ثلثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله او اقرب
شيء لا يعلم كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر
في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه

هل هو متصف به في الحال فيتركه او متعرض له في الاستقبال
فيحترز عنه او قال فيه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه
وبذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات
فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه
الاقسام على مائة والعبد مدفوع اليه التفكر اما في جميعها او
في اكثرها وشرح ايجاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا
القسم في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات
والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا يقيس به المريد سائرها
وينفتح له ابواب الفكر ويتبع عليه طريقه النوع الاول المعاصي
ينبغي ان يفتش العبد صحيفة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا
ثم يدور على الجملة فهل هو فعل المعاصي فان كانت المعصية مما فيتركها
الكا بسهولة فلا مساغ لتركها بالترك والندم ام هو متعرض
لها في الحال او فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في
اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس
والاستهزاء بالغير والمماراة والمجادلة والخوض فيما لا يعني

الى

الي غير ذلك من المكاره فيقول اراد الا في نفسه انها مكروهة عند
الله ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها
ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم
يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة
والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه منهي
تكلم بما يكره الله او يضع مجرا في منه اذا جالس غيره حتى
يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز
ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول
الكلام والى اللهو والبدعة واذا ذكر انما يسمع من زيد
وعمرو والله كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او با
لنهي عند المنكر بها سمعه ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي
الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان
ذلك مكروه عند الله ومقوي للشهوة التي هي سلاح الشيطان
عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه
وملبسه ومسكنه ومكسبه ويتفكر في طريقة الحلال ومداخله ثم

يتفكر في وجوه الحيل في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام
ويقدر على نفسه ان العبادات كلها ضايعة مع اكل الحرام فان
اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله لا يقبل صلوة
عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر
في اعضائه ففي هذا القدر غنية عن الاستقصاء فمهما حصل
بالفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول
النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها واما النوع الثاني في الطاعات
فينتظر او لا في الفرايض المكتوبة عليه انه كيف يوديها
وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر
نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر
في الافعال التي يتعلق بها مما يحب الله فيقول مثلا ان
العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة
وتستعمل في طاعة الله وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله وانا
قادر على ان اشغل العين بمطالعة القران والسنة فلم لا
افعله وانا قادر ان انظر الى قلب المطيع بعين التعظيم فادخل

السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء
فازجره بذلك معصية فلم لا افعلها وكذلك يقول الى سمعه
انى قادر على استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او
استماع قراءة وذكر فمالي اعطله فقد انعم الله تعالى به على
واودعنيه لاشكره فمالي اكفره نعمة الله تعالى عنيه بتضييعه
وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول الى قادر على ان
اتقرب الى الله بالتعليم وبالوعظ والتودد الى قلوب اهل
الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء ولو خال السرور على قلبه زيد
الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة
وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان تصدق بالمال
الحلال الذي فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله
مثله وان كنت محتاجا الان فانا الى ثواب الايثار احوج مني
الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه واموالها
بل عن اولاده وغلمانه واولاده فانه يذكر ذلك ادواته واسبابه ويقدر
عليها ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات

المهلكة بها ويتفكر فيما يرغبه في الدار الي تلك الطاعات
ويتفكر في اخلاص النية ويطلب لها مظان الاستحقاق
حتي يزكوا بها عمله وقس علي هذه سايرالطاعات واما النوع
الثالث منهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها
مما ذكرناه في ربع المهلكات مثل استيلاء الشهوة والغضب
والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة
والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن
ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستدلال
بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها و
تكذب فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجربها
نفسه بحمل حزمة حطب من السوق كما كان الاولون يجربون
بها انفسهم فاذا ادعت الحلم تعرض لغضب ينالها من غيره ثم يجربها
في كظم الغيظ فكذلك في سايرالصفات وهذا تفكر في انه هل هو
موصوف بالصفة المكروهة اولا وكما علامات ذكرتها في ربع
المهلكات فاذا دلت العلامة علي وجودها فكر في الاسباب التي

تفتح تلك الصفات عنده ويتبين ان منشأها من الجهل والغفلة
وخبث النفس كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول
انما عملي بيدي وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني
ولا الي وانما هو من خلق الله ومفعله وهو الذي خلقني وخلق
جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضائي
بقدرته واقدرني على ذلك اراداني فكيف اعجب بعملي او
بنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر قدر
في نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لعالم ترين نفسك
اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك يتكشف بعد الموت وكم
منكا مرزي الحال يموت مقربا الى الله بقدر عمه عند الكفر وكم
من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا
عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاجه ان التزيان
بتعاطي اعمال المتواضعين واذا وجد في نفسه شعوة الطعام
وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهايم ولو كان في شعوة المطعم
والوقاع محال لكان ذلك من صفات الله تعالى وصفات الملايكة كالعلم

والقدرة وما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كانت
البهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقدر في نفسه
في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب
فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه
الكتب واما النوع الرابع وهو المنجيات فهي التوبة والندم
على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف و
الرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات
ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع
والتواضع اليه وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه
وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من
هذه الصفات التي هي المؤدية الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء
منها فليعلم انها احوال كلها يثمرها الاعلوم وان العلوم لا يثمرها
الا احوال فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليتفقد
ذنوبه ولا ويتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه
ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع ويتحقق

عن نفسه انه متعرض لمقت الله به حتى تبعثه حال الفتور واذا
اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في اصناف الله اليه
واياديه عليه وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه
في كتاب الشكر وليتطالع ذلك واذا اراد المحبة والشوق فليتفكر
في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجايب
حكمته وبدايع صنعه بحاستي البصر والبصيرة من القسم
الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر الاولا في ذنوبه الظاهرة
والباطنة وليتفكر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سوال منكر
ونكير وعذاب القبر وحيائه وعقاربه وديدانه ثم في هول الفزع عند
نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلايق على صعيد واحد
ثم في المناقشة والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط
ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده فيكون من اصحاب
دار القرار ثم ليحضر بعد هذا هول القيمة في قلبه صورة جهنم
ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها
وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين

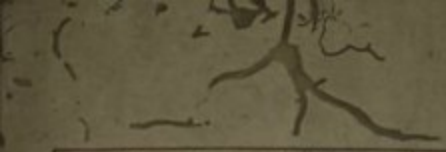

بها وانه كلما تضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما اراد
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانه اذا اراد ها يستحثن حال الرجاء
فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها و
ولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدايم فهكذا طريق الفكر الذي
يطلب به العلوم التي تثمر اجل الاحوال محبوبة والتنزه عن
صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحدة من هذه الاحوال
كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر وانما نذكر الان مجامعه
فلا يوجد فيه انفع من قدر ان يا تفكر فانه جامع لجميع المقامات
والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيها ما يورث الخوف والرجاء
والصبر والشكر والشوق والمحبة وساير الاحوال وفيها ما ينزجر عن
ساير الصفات المذمومة فينبغي ان يقرا العبد ويردد الاية
التي هو محتاج اليها التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو اية مرة و
قراة اية يتفكر وفهم خير من ختمه وليتوقف في التامل فيها
ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرار لا تحصى ولا
يوقف عليها الا بدقيق النظر عن صفاء القلب بيد صدق

المعاملة وكذلك مطالعة اخبار بحور الحكمة لو تامله العالم حق تامله
لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد الايات والاخبار يطول
فانظر الى قوله صلى الله عليه وآله روح القدس نفث في روعي حب
من احببت فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل
ما شيت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين
والاخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا
على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم
وحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو
طريق التفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي
محبوبة عند الله او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق
الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والحالات
المرضية فينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا اهم وانه
افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول
به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال
الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث ينفي عن نفسه اي

اي ينسي نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم با
لمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر
في احوال نفسه وارصافه بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه
وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه وهو تذكر في عمارة الباطن
ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى
يتفرغ بالقرب ولذلك كان الحواريون يدورون في الوادي فلقيهم حسين
بن منصور وقال لهم فيما انتم قالوا دورنا في الوادي اصيح حالي
في التوكل فقال افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في
التوحيد فالقارئ في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين
ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات المهلكات بتجربي
بمجربي الخروج عنها بالعزة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات
وسائر الطاعات تجربي بمجربي تهذيب المراة جهازها وتنظيفها
وجهها ومشطها شعرها ليصلح بذلك للقاء زوجها فانه استغرقت
جميع عمرها في تربية الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن
لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهله

المحاسبة

المحاسبة فان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب
وطمعا في الاجر فدونك يا تعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان
بينك وبين قلبك حجاب كثيف فاذا قضيت حق الاعمال كنت من
اهل الجنة ولكن للمحاسبة اقوام اخرون واه اعرفت مجال الفكر
في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان يتخذ لكل
عادة من عاداتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك
المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة اليه تعالى بل لكل مريد
ينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات
وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه
عليها في كل يوم ويكفيه من المهلكات تفقد عشرة فاذا ان سلم
منها من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة
الغضب وشره الطعام وشره الرقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات
عشرة الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر
على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص
في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه

عشرون خصلة مذمومة وعشر محمودة فمهما كفى من المذمومات
واحدة منها يخيط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله
تعالى على كفايته اياها وتنزيهه قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا
بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل
الرذايل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط
على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف
بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا
يحتاج اليه المريد المتشمر واما اكثر الناس المعدودون من الصالحين
فينبغي ان يشتغل في جريدته بالمعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق
اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في
معاداة الاعداء وموالات الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من بعد تفسيم من وجوه
الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وعالم تكلم
الجوارح عن الاثام لا يمكنه الاشتغال بعمارة القلب في تطهيره بل
كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون

تقدیم لها و تفکر هم فیها لا فی معاصی یعود بمعزل عنها مثالهم
العالم الورع فانه لا یخلو فی غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم و طلب
الشهرة و استمالة القلوب اما بالتدریس او بالوعظ و من فعل ذلک
تصدی لفتنة عظیمة کما یجو منها الا الصدیقون فانه ان کان
کان کلامه مقبولا حسن الوقع فی القلوب لم ینفک عن الاعجاب و
الخیلاء و التزین و التصنع و ذلک من المهلکات و ان ارد کلامه
لم یخل عن الغة و غیظ و حقد علی من یرده هو اکثر من غیظه
علی من یرد کلام غیره و قد یلبس الشیطان علیه و یقول ان غیظک
من حیث انه رد الحق و انکره فان وجدت تفرقة بین ان یرد
علیه کلامه او یرد علی عالم اخر فهو مغرور و ضحکة للشیطان
ثم مهما کان له ارتیاح بالقبول و فرح بالثناء و استکاف من الرد
و الاعراض لم یخل عن تکلف و تصنع بتحسین اللفظ و ایراد حرصا
علی استجلاب الثناء و الله لا یحب المتکلفین و الشیطان قد یلبس
علیه و یقول انما حرصک علی تحسین الالفاظ و التکلف فیها لینتشر
الحق و یحسن موقعه فی القلب اعلاء لدین الله فان کان فرحک بحسن

لفاظهم وثنار الناس عليه اكثر من فرحه بثنار الناس علي واحد من
اقرانه فهو مخادع وانما يريد بذلك طلب الجاه وهو يظن ان
مطلبه الدين وبهذا اقتضى صنيعه بهذه الصفات ظهر علي ظاهر
ذلك حتي يكون للمرء قرينه والمعتقد بفضله اكثر احتراما ويكون
بلقائه اشد استبشارا ممن يخلو عن هذه الآفات غيره وان كان ذلك
الغير مستحقا للموالات وربما ينتهي الامر باهل العلم الي ان
يتغايروا تغاير النساء فيشق علي احدهم ان يختلق بعض
تلاميذهم الي غيرهم وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد
منه في دينه وكل هذا من شح للصفات المهلكات المستكنة
في سر القلب الذي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها
وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات فغفلة العالم عظيم وهواها مالك
واهلها هالك ولا مطمع له في سلامة العوام ان لم يدرك الخواص منهم
احسن في نفسهم بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة و
طلب الخمول والمداومة للفتاوي منها سيل فقد كان المسجد في زمان
الصحابة يحوي جميعهم اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم كلهم

مفتون وكانوا بتلا فعون التنكير وكل من كان يقتي يود ان
يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذا قالوا
كا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق
وليقل لهم ان دين الاسلام مستغني عني فقد كان معمورا قبلي
فكذلك يكون بعدي ولم مت لم ينعدم اركان الاسلام والدين
مستغني عني وما انا بمستغن عن اصلاح قلبي ونفسي واما اداء ذلك
الي اندرس العلم مخيال يدل علي غاية الجهل فان الناس لو حبسوا
في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار علي طلب العلم لكان حب
العلو والرياسة يحملهم علي كسر القيود وهدم حيطان الحصون
والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام
الشيطان يحبب الي الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الي
يوم القيمة بل بحث لينتهض لنشره اقوام لا نصيب لهم في الاخرة
كما قال صلي الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم
وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم
بهذه الالة التي لبيسان فيشتغل بمحاسن الخلق حتي يتزين في قلبه حب

الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب
الجاه والمال ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى
الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا
فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينقلع حب
الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من محالطتهم
وترك كل ما يتزين به جاههم في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن
بخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص
منه وهذه وظيفة العالم المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون
تفكرنا فيما يقرب ايماننا بيوم الحساب اذ لو لم نكن نحن السلف الصالح
لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالهم
يوم من بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا
طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشهوات والحرام وترك
المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات
ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا ان
تقتدي بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا هو

لكان العلماء أولى باجتنابها فليتنا كنا كالعوام اذا مشاءات
معاذ توبنا من اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فسأل الله
تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا ان
الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلماء
الصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم
عن النفس وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته
والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك
من جميع الهيئات والاتصاف بجميع المحبات فان ظفر شيء
منه قبل ذلك كان مدخولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق
الخاطف لا ينبت ولا يدوم كالعاشق الذي خلي بمعشوقه ولكن
تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى وتنغص عليه لذة
المشاهدة ولا طريق له في احمال التنعم الا باخراج العقارب
من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات تدعى
موذيات ومنهوسات وفي الخبر من يرد الم لدغها على لدغ العقارب
والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات

نفسه المحبوبة والمكروهة القسم الثاني الفكر في جلال الله وصفاته
وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام الاعلى الفكر في ذاته
وصفاته ومعاني اسمائه وهذا ممنوع عنه حيث قيل تفكروا
في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه
فلا يطيق هذا البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر
بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله كحال البصر
الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي
بالنهار وانما يتردد ليلا لينظر في بقية نور الشمس الذي وقع على
الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه
يقدر على النظر اليه ولكنه لا يطيق دوامه ويخشى على بصره لدوام
النظر ونظرة المختطف اليها يورث الحسر ويفرق البصر وكذلك
النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب
العقل فالصواب اذا ان لا تتعرض بمجاري الفكر في ذات الله
وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمل بل القدر اليسير الذي صرح به
بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن

الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو منفصل
بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم
يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طايفة عن احتمال اقل من
هذا اذ قيل لهم انه تعالى ويتقدس عن ان يكون له راس ورجل ويد
وعين وعضو وان يكون جسما له مقدار وحجم فانكروا هذا و
ظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى
من العوام ان هذا وصف يطيح هذه بالاوصاف الا من بظن المسكين
ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لانه الانسان لا
يعرف الا نفسه فكل ما لا يشابهه في صفاته
فلا يفهم العظمة فيه نعم غاية ان يقدر نفسه جميل الصورة
جالسا على سرير وبين يديه غلمان يمتثلون امره فاجرع غاية
ان يقدر ذلك في حق الله تعالى حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب
عقل وقيل له ليس في الكل حيوان وله يدورجل ولا طير انه انكر
ذلك وقال كيف يكون ما الذي انقص مني افيكون مقصوص الجناح
او يكون زمنا لا يقدر على الطيران ويكون لي الزوكرة لا يكون له

مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل
وان الانسان ظلوم جهول كفار ولذلك قيل اوحى الله تعالى الى بعض
انبيائه ما تحبر عبادي بصفاتي فينكرون ولكن اخبرهم عني بما يعقلون
ولما كان النظر في ذات الله وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى
اداب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه
لكفا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله وعجايب صنعه
وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقديسه
وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته
فينظر الى صفة من اثار صفاته فانها لا تطيق النظر الى صفاته
كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس و
نستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وساير الكواكب
لان نور الارض من اثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر
دلالة تامة وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات
الدنيا اثر من اثار قدرة الله تعالى ونور من انواره بل الظلمة اشد
منا العدم ولا نور اظهر من الوجود وجود الاشياء كلها انور من انوار

ذاته

ذاته تعالي وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه
كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها وهما
انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بانه يوضع طست فيه
ماء حتي ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة
تعض قليلا من نور الشمس حتي يطاق النظر اليها فكذلك الافعال
واسطة يشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبصر نا نور الذات بعد ان
تباعدنا عنها بواسطة الافعال وهذا سر قوله صلي الله عليه وسلم تفكروا
في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله تعالي بيان كيفية التفكر في
خلق الله يا اخي ان كل ما في الوجود مما سوي الله تعالي فهو
فعل الله وخلقه وكل ذرة من ذراته من جوهر وعرض وصفة
وموصوف فيها عجايب وغرايب تظهر بها حكمة الله وقدرته
وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الي
جمل ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقات
منقسمة الي ما لا يعرف في اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من

من الموجودات التي لا تعلمها كما قال الله تعالى سبحان الذي خلق
الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والحي ما يعرف اصلها وجملتها
ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان نتذكر فيما تفصيلها وهي تنقسم الى
ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه با
لبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها
ومجال الفكر في هذه الاشياء مما يغمض فلنعد الاقرب الى الافهام
وهي المدركات بحس البصر وذلك هي السموات السبع والارض وما
بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها
ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة مما فيها من جبالها
ومعادنها وانهارها وبحارها وحيواناتها ونباتها وما بين السماء
والارض وهو الجواهر كالغيوم بمطارها وامطارها وثلوجها وبردها
وبردها وصاعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس
المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها تنقسم
الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام وينشعب كل قسم الى اصناف

والاضافة

والانتهاء بانتساب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها
ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر هل تتحرك
ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب
الا ومحركها هو الله تعالى وفي حركتها حكمة وحكمتان او عشرة
او الف حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ودالة على جلاله
وكبريائه وهي الايات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على
التفكر في هذه الايات كما قال ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات وكما قال ومن اياته ومن ايات
من اول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الايات
فمن ايات الانسان المخلوق من نطفة واقرب شيء اليك نفسك
ومثلك من العجايب الدالة على عظمة الله ما ينقضي الاعمار في
الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن
نفسه وجاهل كيف يطمع في معرفة غيره وقد امرك الله تعالى
بالتدبير في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون
وانك مخلوق من نطفة قذرة فقال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره

من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته
فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوى وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في
قرار مكين وقال ولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا
هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه
ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما
فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الاية فتكرر ذكر
النطفة في الكتاب العزيز ليس يسع لفظه ويترك التفكر فيه
في معناه فانظر الان الى النطفة وهي قطرة من الماء قدرة لو تركت
ساعة فمر بها الهواء فسدت وانتنت وكيف اجرى عجائب
الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والفى
الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى
الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استحال

دم الحيض

دم الحيض من اعماق العروق وجمعها في الارحام ثم كيف خلق
المولود من النطفة وسقاه ماء المحيض وغذاه حتى نما
وربي وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة
حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي
بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم
اجزاء النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها
مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الي
العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم والشحم ثم كيف ركب
من اللحم والاعصاب والعروق والاعضاء الظاهرة قدور الراس
وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليدين والرجل
وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء
الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة
والامعاء كل واحد علي شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل
مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر
فتركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيأة

تخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطل
العين عن الابصار فلوقف ههنا ما في احاد هذه الاعضاء من
العجايب والايات كما تقضي فيه الاعمار فانظر الان الي العظام
وهي اجسام تربية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة
ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة و
اشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف
ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الي الحركة
بجملة بدنه وبعض اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل
عظامه عظما واحدا بل اعظما كثيرة بينها مفاصل حتي تيسر بها
الحركة وقدر شكل كل واحد منها علي وفق الحركة المطلوبة بها
ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض باوتار انبتها من
احد طرفي العظم والصق بطرف الاخر كالرباط ثم خلق في احد طرفي
العظم زوايد خارجة منها وفي الاخر غايصة فيها موافقة لشكل
الزوايد ليدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد اذا اراد تحريك جزء
من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف

خلق

خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها فقد ركبها من خمسة و
خمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض
بحيث استوت به كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص التحى
واربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي
الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح
للقطع وهي الانياب والاضراس والاسنايا ثم جعل الرقبة مركبا
للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تجويفات
وزيادات ونقصانات ليتطابق بعضها على البعض بطول
ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من
اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربعة وعشرين خرزة
وركب عجز العجز من ثلثة اجزاء مختلفة ويتصل به من اسفله
عظم العصعص وهو ايضا مولف من ثلثة اجزاء ثم وصل
عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام
العانة وعظام الفخذ ثم عظام الفخذين والساقين واصابع
الرجلين فلا نطول بذكر عددها ومجموع عدد العظام في بدن

الانسان ما بنا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة
التي حيثت بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك
من لطف سكيبكم سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد
العظام ان تعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء و
المشرحون وانما الغرض ان تنظر منها في مدبرها وخالقها
وانظر كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها
وخصصها بهذا العدد المخصوص فانه لو زاد عليها واحد
لكان وعلى الانسان يحتاج الى تعلمه ولو نقص منها واحد لكان
نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه الحاجة
في جبرها واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة
خالقها وعظم قدرها فاستبان بهذا ان نظر في كيف خلق
الله تعالى لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان
خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة هي مركبة من
لحم وعصب وربط وغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب
اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربعة وعشرين عضلة منها هي

لتحريك

لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل
امر العين فهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر
مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها
ومنابتها وانشعابها اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللتفكر مجال
احد هذه الاجزاء ثم احاد هذه الاعضاء ثم جملة البدن وكمال كل
نظر الى عجايب اجسام البدن وعجايب المعاني والصفات
التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان و
باطنه والى بدنه وصفاته فتري فيها من الصنعة ما يقضي
به العجايب وكمال كل صنع الله في ما قدرة فتري من هذا
صنعه في وطرة ما رفعها صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما
حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها وعددها واجتماع
بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوتها
مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات
والارض تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا و
اجمع للعجايب من بدن الانسان بل الانبة لجميع ما في الارض الى

عجايب السموات ولذلك قال الله تعالى انتم اشد خلقا ام السماء بناها
فارجع الان الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وثانيا
لو اجتمع الانس والجن على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او
عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا
او جلدا او شعرا هل يقدرون عليها بل لو اراد وا ان يغيروا
كنه حقيقة خلقه يجدان خلق الله تعالى ذلك يعجزهم عنه
فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصورة على حايط
تانق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان
وقال الناظر اليها كما ان انسان عظيم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه
وضعة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة
انما تمت بالصبغ وبالقلم وبالحايط وباليد والقدرة وبالعلم والارادة
كل شيء من ذلك ليس من فعل النقاش وانما خلقت بل هي مما خلق
غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحايط على ترتيب
مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت
معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترايب ثم اخرجها منها

وشكلها فاحسن شكلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها
وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء مختلفة فاحكم العطاء في اما
جائها واحسنه اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها
ورتب عروقها واعصابها وجعلها سميعا بصيرا عالما ناطقا
فخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لالات غذائها والرأس
جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها
ولونها وهيأتها بالاجفان لستترها وحفظها وتصقلها وترفع
الاذي عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات
مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها بصدفة الاذن ليجمع
الصوت فيردها الى صماخها وليحس بدبيب الهوام اليها
وجعل فيها تجويفات واعوجاجات ليكثر حركة ما يدب فيها
ويطول طريقها فينبه عند النوم صاحبها اذا قصدتها الدابة
في نومه ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله وفتح فيه
المخرين واودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح
على مطاعمها واغذيته وليستنشق بمقدار المخرين ردء الهواء

غذاء لقلبه وتروحا بحرارة باطنه وفتح الفم فاودعها اللسان
ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان وتكون آلة
للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤوسها وبيقن لونها ورتب
صفوفها متساوية الرؤوس متناسبة الترتيب كانها الدر المنظوم
وخلق الشفتين وصنن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فيسد منفذه
وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق
اللسان قدرة الحركات والتقطيعات لبتقطع الصوت في مخارج مختلفة
لتختلف بها الحروف ليتسع طرق النطق بكثرتها ثم خلق الحنايا
مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة
الجوهر ورخاوتها والطول والقصر حتى اختلف بسببها الاصوات
فالتشابه صوتا نبل يظهر بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع
بعضهم الناس من بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس
بالشعور والاصداغ ثم زين الوجه باللحية والحاجبين وزين
الحاجب برقة الشعر واستقواص الشكل وزين العينين بالاهداب
ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد بفعل مخصوص فسخر المعر

نضج العذاء والكبد ما حالة العذاء الى الدم والصفراء و
الكليه تخدمه الكبد فالطحال تخدمه بجذب السوداء عنه والمرارة
تخدمه بجذب الصفراء عنه والكليتة تخدمه بجذب الماء عنه
والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الاحليل
والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سايراطراف البدن ثم
خلق البدن وطولها يمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم
الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلثة انامل ووضع الاربعة في
جانب والابهام في جانب ليدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاول
والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها اخر في وضع
الاصابع سوى ما وضع عليه من بعد الابهام عند الاربعة و
تفاوت الاربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ
بها صلح القبض والاعطاء فان بسطها كان لكن فايضع عليها ما
يريدون بحوها كمانت آلة الضرب وان ضمها ضما غير تام كانت معرفة
له وان بسطها وضم اصابعها كانت مجمرة له لم خلق الاظفار على رؤ
سها رؤسة للانامل وعمادا لها منورة لها حتى لا تنقطع وليلتوط بها

الاسباب الدقيقة التي لا تتناول لها الانامل وليحك بدنه بها عند
الحاجة فالظفر الذي هو احد الاعضاء لو عدمه الانسان وظفر
به حكة لكان ايجز الخلق واضعفهم ولم يقم احد مقامه في حك بدنه
ثم هدي اليد الي موضع الحك حتي يمد اليه ولو في النوم والغفلة
من غير حاجة الي طلب ولو استعان بغيره لم يعثر علي موضع الحك الا
بعد تعب طويل ثم خلق هذا الكلم في النطقة وهي في جوف الرحم
في ظلمات ثلث ولو كشف الغشاء والعظام واملا البصر اليه لكان يري
التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا فالذي يري المصور والآلة
فهل راي مصورا فاعلا بمسالته ولا يلقيه وهو يتصرف
فيه فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر مع هذا قدرته
الي تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عنه الصبي لما كبر كيف هداه السبيل
حتي تنكس وتحرك وخرج منه ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه
عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الي الغذاء كيف
هداه الي التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا تحتمل الاغذية
الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث

والدم

والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن و
انبت فيهما الحلمة على قدرها ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في
حلمة الذي تقبا جداً حتى لا يخرج اللبن الا بتدريج فان الطفل
لا يطاق منه الا القليل ثم كيف هداه الله حتى صار يمص
مص ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع به ثم ان الاب
عطفه ورحمته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين
لا يتغذى الا باللبن فهو مستغن عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن
السخين ويحتاج الى طعام غليظ فيحتاج الطعام الى المضغ والطحن
فاستدعى الانسان عند الحاجة اليها وابعدها منها فكيف
اخرج تلك العظام الصلبة من تلك المشاة اللينة ثم صنع قلوب
الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن
تدبير نفسه فلولم يسلط الله الرحمة على قلبيهما كان الطفل
اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف زينه القدرة والتمييز و
العقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا كملا
ثم شيخا اما كفورا او شكورا مطيعا او عاصيا مؤمنا او كافرا تصديقا

لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
اما هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم
الى القدرة والحكمة تبهرك عجايب الحضرة الربوبية العجب كل
العجب لمن يرى له خطا حسنا او نقشا حسنا على حايط فيتعجب منه
فينصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه
وخطه وكيف اقتدر عليه فلا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما
احمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجايب في نفسه
وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا يدهشه عظمته
ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجايب بدنك التي لا
يمكن استقصاء بعضها وهو اقرب مجار تفكرك واجل شاهد على
عظمة فالفكر وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا
تحزن من تفصل الاربع تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع
وتغضب فتقاتل فتشارك في معرفة ذلك البهايم والسباع كلهم
وانما خاصية الانسان التي حجبت البهايم عنها معرفة الله تعالى بالنظر

في سلوكه

ملكوت السموات والارض وعجايب الآفاق والانفس اذ بها يدخل
العبد في زمرة الملايكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين
والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه
الرتبة للبهايم والانسان رضي من الدنيا بشهوات
البهايم فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على
ذلك وهو فقد خلق الله القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله
فيها فاذا ليك كالانعام بل هم اضل سبيلا واذا عرفت طريق الفكر في
نفسك فتفكر في الارض التي هي مقر لك تم انهارها وبحارها وجبالها
ومعادنها ثم ارتقه منها الى ملكوت السماء والارض انما الارض
من اياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا
وجعلها ذلولا ليمشوا في مناكبها وجعلها بحيث لا تتحرك وارسى
فيها الجبال اوتادا لها لتمنعها من ان تميد بكم وكانها حتى عجز
الادميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثرت طوفهم
فقال الله تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها
فنعم الماهدون وقال هو الذي جعل لكم الارض فراشا واكثر في كتابه ذكر

الارض ليتفكر عاقل في عجائبها وظهرها مقر للاحياء وبطنها وطن
للاموات ولذلك قال الله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
واخضرت وانبتت عجايب النبات وخرج منها اصناف الحيوانات
ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات وشق منها الصم
الصلاب وكيف اودع المياه تحتها فنجر العيون واسال الانهار
تجري على وجوهها واخرج منها الجارة الياسة ومنها التراب
الكدر مادرا فيقاعدها صافيا ثم الاه وجعل به كل شيء حيا فاخرج به
فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل
ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم
والصفات والروايح فضل بعضها على بعض في الاكل وتسقى جميعها
بماء واحد ويخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلاف الاختلاف
بذورها واصولها فمن اين كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب
ومن اين كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة ثم
انزل الحمار من البوادي وقيض قائمها وما طنها حتى تراها الاتربا

متشابهها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف
الآخر فانظر الى كثرتها واختلافها واصنافها وكثرة اشكالها فمنها
اختلاف طبايع جميع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع الله تعالى
المنافع الغريبة فيها. النبات تغذي وهذا يقوي وهذا
يجيع وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل
في المعدة قهر الصفرا من اعماق العروق وهذا استحال الى
الصفرا وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل الى الدم وهذا
يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا
يقوي وهذا يضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا نبتة الا وفيها
منافع كما يقوي البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا
النبات يحتاج الفلاح في تربيتها الى محل مخصوص فالنخيل يوبر
والكرم يقطع والزرع ينقي منه الحشيش وبعضه يستنبت بنبات المزار
في الارض وبعضها يغرس الاغصان وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا
ان نذكر اختلاف النبات ومنافعها واحوالها وعجايبها لما نفدت
الايام في وصفها فيكفيك من كل جنس نبذة يستدل بذلك على طريق الفكر

قبر

الفلاح م

فهذا عجائب النبات ومن آيات الجواهر المودعة تحت الجبال و
المعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة
فانظر الى الجبال كيف تخرج الجواهر النفيسة من الذهب والفضة
واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والنحاس
والرصاص والحديد وبعضها لا تنطرق كالفيروز وكيف هدى الله
تعالى الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات
والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط و
الكبريت والقار وغيرها وما فيها الملح وما يحتاج اليه الانام لتطيب
الطعام ولو خلق بعض بلاد لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة
الله كيف خلق بعض الاراضي سبخة يجوهرها بحيث يجتمع
فيه الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا صخريا لا يمكن تناول
منقال منه ليكون ذلك تطييبا للطعام فاذا اكلت فتفكر عيشك وما
من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق
شيأ منها ضايعا ولا هذرا بل خلق الكل بالحق وكما ينبغي وعلى الوجه
الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال وما خلقنا

السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن
اياته اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي
وانقسام ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر
وعلى مائة كما شاهد في بعض الديدان ثم انقسامها في المنافع
والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى
دوابه البر والى البحار الاهلية تر فيها من العجايب ما لا تستكل
معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف
يمكن ان يستقصى ذلك بل الواجب ان نذكر عجايب البقة والنملة
والنحلة والعنكبوت ينبغي بينها على طرف شوكة فتطلب اولا
موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع نحو دونه حتى
يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي فيلقي الخيط
الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به فيعدو الى الجانب الاخر
فيحكم الطرف الاخر من الخيط ثم يحكم كذلك ثانيا وثالثا ويجعل
بعد ما بينهما مناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد
النمط ورتب الخيوط كالسدي اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على

السدي ويضيق بعضه الي بعض ويحكم العقد علي موضع النقاء
النقاء السدي باللحمة ويرعي في جميع ذلك تناسب الهندسة و
يجعل ذلك شبكة تقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصد
الوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع فيه بادر الي اخذه واكله فان
عجز عن الصيد في الشبكة كل لكل طلب لنفسه زاوية من حايط
ووصل بيت طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه من الخيط
اخر وبقي متمكنا في الهواء ينتظر دابة تطير فاذا طار دباب
رمي بنفسه اليه فاخذه ولو خيطه علي حلمه واكله ثم اكله
وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجايب ما لا يحصي
اقتري انه يعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كونه
ادمي وعلمه او لا معادي لم ولا معلم افيشكك ذو بصيرة في انها
مسخرة وعاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه الظاهر قوته
عاجز عنه من نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف اقل شيء يقدر
بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجايب صنعه لفاطره الحكيم
وخالقه القادر العليم فالبصير يري في هذا الحيوان الصغير من

عظمة

عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما يتحير فيه
الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب
ايضا احضر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها
غير محصورة واكثر استقراء تعجب الخلق منها لاشتهارها بكثرة
المشاهدة ثم اذا راى حيوانا غريبا ولو دودة تجد تعجبه
وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس
يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الوفها ونظر الى
اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوايدها في جلودها
واصوافها ولوبارها واشعارها التي جعلها الله تعالى لباسا
لخلقه والبانهم في طعمهم واقامتهم واثاثهم لاشربتهم واو
عية لاغذيتهم وصوفا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية
لهم ثم جعل بعضها زينة الركوب وبعضها حاملة للاثقال وقاطعة
للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكم خالقها ومصورها
فانه ما خلقها الا لعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقها
ايا ها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تامل

وتدبر من غير استعانة بوزير ومشير وهو العليم الخبير الحكيم
القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلق صدق الشهادة
من قلوب العارفين بتوحيده في الخلايق الا الادعان
لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة
جلاله وعظمته وهو الذي لا يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى
على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته
فنسأل الله تعالى ان يكرمنا بمزيد هدايته بمنه ورأفته ومن آياته
البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطع عن البحر
الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي
والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم
وبقية الارض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض
في البحر كالحبل في الارض فانسب اصغر الى جميع الارض واعلم
ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجايب الارض
التي فيها فتامل عجايب البحر فان عجايب ما فيه مما من الحيوان
والجواهر اضعاف عجايب ما شاهده على وجه الارض كما ان

سعة اضعاف سعتها وعظم كان فيه من الحيوانات العظام
ما تري ظهورها في البحر كالارض فيظن انها جزيرة فينزل
راكبا السفينة عليها فربما جمت بالنيران اذا شعلت فيتحرك
فيعلم انها حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس
وطير وبقر وانسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيها
اجناس لا يعهد نظير في البر وقد ذكر اوصافها في مجلدات
وجمعها اقوام عند ركوب البحر وجمع عجايبها ثم انظر كيف خلق
اللؤلؤ ودر صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان من
صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجرة تنبت
من البحر ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفايس التي يقذفها
البحر ويستخرج منه ثم انظر الي عجايب السفن كيف امسكها الله
تعالي على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب المال وسخر لهم الملاح
الذي اقالهم ثم ارسل الريح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد
الرياح ومهابها وهو ما قيتها ولا مستقصي على الجملة عجايب صنع
الله تعالي في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل

ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم لطيف رقيق سيال منقسم
الاجزاء كانه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول في التقطع
كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حيوة
كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى
شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزايب الدنيا في تحصيلها
لو ملكها واذا شرب لم يمنع من اخراجه لبذل جميع خزايب الارض
في اخراجها والعجب من الادمي يستعظم الدينار والدرهم
ونفايس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج
الى شربها والاستفراغ لها بذل جميع الدنيا فيها فتامل من
عجايب المياه والابار والانهار والبحار فيها مسرح للفكر و
مجال لوكك لكل شيء منها ظاهرة وايات متناصرة قائمة
بلسان الحال مفصحة عن جلالة باريها معربة عن كمال حكمته
فيها منادية على ارباب القلوب بنعوت كماله لكل ذي لب اماترى الحي
وما ترى صور تي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف احوالي
وكثرة فوايدي تظن اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي

او ما تحيي تنظر في كلمة مرقومة من ثلثة احرف متقطعة
بانه صفة ادمي عالم قادر متكلم ثم تنظر الي عجايب الخطوط
الاكلية المرقومة علي صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي
لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا انفعاله يحمل الخطيم ثينفك
قليلا عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب
الذين هم عن السمع لمعزولون توجهي في ظلمة الاحشاء
منحوتا فاوجدتم الصفة في الوقت الذي ينظم التخطيط والتصوير
علي وجهي فيه نقشت النقاش دقتي واجفاني وجبهتي و
خديو وشفتي فتري النقوش تظهر شيئا شيئا علي التدريج
ولا تري داخل النطفة نقاشا ولا ادواته ولا داخل الرحم
ولا خارجة ولا اخبر منها الا الله ولا الله ولا للنطفة ولا للرحم
اعلم هذا النقاش باعجب من ما تشاهده ينقش بالقلم الصورة
عجيبة لو نظرات اليها مرة او مرتين فهل تقدران تعلم بهذا
الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزايها
من غير ملاصقة للنطفة ومن غير اتصال لها لا من داخل ولا من خارج

فان كنت لا تتعجب من هذه العجايب ولا تفهم منها ان الذي
صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصور
كما ان نقشه وصنعته لا يساويه نقش وصنع بين الفاعلين
من المباينة والتباعد ما بين الفعلين وان كنت لا تتعجب
من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجيب فان
الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبصر
هذا التبيان جدير بان يتعجب منه سبحان من هدى واضل
واغوى وارشد واشقى وابعد وفتح بصائر اهل ايه فشاهدوه
في جميع ذوات العالم واجزايه واعمى قلوب اعدايه فاحتجب
عنهم بعزته وعدل به ملة الخلق والامر والامتنان واللطف
والفضل والقهر واراد حكمه ولا معقب لقضايه ومنايا ته
الهوا ء الطلق المحبوس بين مغور السما ر ومحدب الارض يدرك
بحس اللمس عند هبوب الريح جسمه ولا يرى بالعين شخصه
وجملة من البحر الزاخر والطير المحلقة في جو الهوا ء دسا حه فيه
با جتحته كما تسبح حيوان البحر في السما ر فتضطرب جوانبه وامواج

شعه

عند هبوب الريح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهواء
وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين يدي رحمته كما
قال وارسلنا الرياح لواقح فيفعل بحركته روح الهواء الى الجنوبات
والنبات فيتعد للثمار وان شاء جعله عذابا على العصاة من
خلقه كما قال انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس
مستمر الى قوله تعالى نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهواء ثم
شدته وقوته مهما ضبط فيه الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه
الرجل القوي بنفسه في الماء فيغيب عنه والحديد الصلب تضعه
على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء
بقوته مع لطافته وهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه
الماء وكذلك صيغ فيه هواء لا يغرق في الماء لان الهواء ينقبض
عند الغرق في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فيبقى
السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة من الهواء اللطيف
كالذي يقع في بير فيتعلق بالحبل قوي فانه يمتنع عن الهوي في البير
فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهواء القوي حتى من الهوي في

الخرق في الهواء فسبحان من علق المركب الثقيل من هواء لطيف
من غير علاقة مشاهدة وعقده تشد ثم انظر الى عجايب الجو
وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج
والشهب والصواعق فهي عجايب ما بين السماء والارض وقد
اشار القران الى جملتها في قوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار
الى تفصيلها في مواضع شتى ولا السحاب المسخر بين السماء
والارض وحين تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا
لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك و
تسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشارك هذه المعرفة فاذا
تقنع من حضيض عالم البهايم الى عالم الملاء الاعلى فقد فتحت
عينيك فادرك ظاهرها فغمض عينيك الظاهرة وانظر ببصيرتك
الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب اسرارها وهذا ايضا
باب بطول الفكر فيه ولا مطمع في استقصاءه فتامل السحاب
الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صافي لا كدرة فيه وكيف يخلق

الله اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل
ومسكه في جو السماء الا باذن الله في ارسال الماء وتقطيع
القطرات بكل قطرة بالقدر الذي اراده الله تعالى وعلى الشكل
الذي شاءه فتريب السحاب ترش الماء على الارض وترسله قطرات
متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى
بل يكون كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تقدر عنها
قلا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة
قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون على ان يخلقوا منها
قطرة او يقدروا عدد ما ينزل من السماء في بلدة واحدة او قرية
لعجز حساب الجن والانس عن قلا يعلم عددها الا الذي اوجدها
ثم كل قطرة منها عين لكل جزء من الارض لكل حيوان فيها
من طير ووحش وجميع الحشرات ولا لدودة كتب على تلك القطرة
بخط الهي لا يدرك ببصر الناظر انه رزق الدودة الفلانية الذي
يقع في ناحية الفلاني يصل اليه عند عطشه في الوقت الفلاني هذا
مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر التلوج

كما لقطن المندوف من العجايب التي لا تحصى كما ذكر من فضل
الجبار القادر وقهره من الخالق القاهر ما لا حد من الخلق فيه
شرك ومدخل وليس للمومنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع
تحت جلاله وعظمته ولا للمتميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته و
رجم الظنون بذكر سببه وعلته فمقول الجاهل المغرور انما ينزل
الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن ان
هذه معرفة انكشف له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع
وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما
الذي يدير في الماء المصبوب في اسفل الاشجار الى اعالي الاغصان
وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى اسفل ثم ارتفع الى فوق في
داخل تجاويف الاشجار شيئا شيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى
يتشعر في جميع اطراف الاوراق فتتغذى كل جزء منه ورق و
يجري اليه في تجاويف عروق شعرية صغار يربو منه العرق الذي
هو اصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورق
عروق صغار وكان الكبير نهر وما انشعب عنها جداول ثم ينشعب من

الجدول سواء في صغار اصغر منها ثم تبسط منها خيوط عنكبوتية
دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تبسط في تجويف عرض الورقة
فصل الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورق ليغذيه و
ينميه ويربيه ويبقي طراوته ونضارته وكذلك الى سائر اجزاء
الغواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف يتحرك الى
فوق فان كان ذلك يجذبه جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب فان
كان ينتهي بالاخرة عليه كما اول الامر فنهاية الجاهل بداية
العاقل ومن اياته ملكوت السموات وما فيهما من الكواكب
والارض وجبالها والملك والملكوت فلم لا يحال عليه في اول الامر
فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن اياته ملكوت السماء التي
فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادراك الكل وفائته عجائب
السموات فقد فاته السكل بحقيقة واكمل ارض والبحار والسواد وكل
جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كخيط طويل في بحر واصغر
فانظر كيف عظم الله تعالى امر السماء والنجوم في كتابه فما من سورة
الا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القرآن بكوكب تعالى

والسماء ذات البروج والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم
الثاقب والسماء ذات الحبك والسماء وما بنيها وقوله والشمس
وضحيها وقوله والنجم اذا هوى وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد
علمت ان عجائب اللطفة القدرة تعجز عن معرفتها الاولون
وما اقسم الله بها فكيف ظنك بما اقسم الله به واحال الارزاق اليه
فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه
فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض الاية وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية ثم بصق بها
مستلقيا اي تجاوزها من غير تفكر وذم المعرضين عنها فقال
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون فاي
شبهة لجميع البحار والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب
والسموات جمل اب شداد محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب
اجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال انتم اشد خلقا

ام السماء بنيها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لتريه
عجايب العز والجبروت ولا تظننّ ان معنى النظر الى الملكوت
بان تمد اليه البصر فتريه زرقة السماء وضوء الكواكب وتغورها
فان البهايم يشاركونك في هذا النظر فان كان هذا هو المراد
فلم مدح الله تعالى ابراهيم بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
السموات والارض لانه كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن
يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار يعبر عنه
بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار
الملك والملكوت ولا يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وهو
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فاطلبها ايها الغافل فكرك في الملكوت فعسى تفتح لك ابواب السماء
فتجول بقلبك في اقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدي عرش
الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب
رضه حيث قال رأيت قلبي ربي تحته كما ان بلوغ الاقصى لا يكون
الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء اليك نفسك ثم الارض التي هي

متحرك ثم الهوي المكتنف لكل ثم النبات والحيوان وما علي وجه الارض
ثم عجايب الجود وهو ما بين السما والارض ثم السموات السبع و
كواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملايكة الذين هم حملة العرش
وخزانة السموات ثم منه تجاوز الي النظر الي رب العرش
والكرسي والسموات والارض وما بينهما فيتذكر وبينه هذه المفاز
الفيح والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة والمفاوز
بعد ثم تفزع من هذه العقبة المريبة النازلة وهي معرفة
ظاهر نفسك ثم صرت تكلف اللسان بوقا حتى وتدعي معرفة
ربك فتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففي ماذا التفكر والي ما اذا
انت ملتفت فارفع الان راسك الي السماء وانظر فيها والي كواكبها
وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف
مشارقها ومغاربها ودوبها في الحركة علي الدوام من غير
فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل يجري جميعها
في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الي ان يطويها
كطي السجل للكتب وتدور عدد كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها

منعفها

فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها
الى اللون الرصاصي ثم انظر كيف اشكالها فبعضها على صورة
العقرب وبعضها على صورة الجمل والثور والاسد والانسان
مما من صورة في الارض الا ولها تمثال في السماء ثم انظر الى سير
الشمس في فلكها في مدة سنة ثم بعين تطلع كل يوم وتغرب بسير
اخر سيرها فالوقها ولونها وغروبها لما اختلف الليل و
النهار ولم تعرف المواقيت واطبق الظلام على الدوام او الضياء
على الدوام وكاد لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة
فانظر كيف جعل الله الليل لباسا والنهار معاشا وانظر الى ايلاج
الليل في النهار والنهار في الليل وادخال الزيادة والنقصان عليهما
على ترتيب مخصوص وانظر الى اماله مسير الشمس عن وسط
السماء مسيرها بردا للهواء وظهر الشتاء واذا استوت في وسط السماء
اشتد الغيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجايب السموات
كما مطمع في احصاء عشر عشير جزء من اجزائها واذا تفكرت في هذا تنبه على طريق
الفكر واعتقد على الجملة انه ما من كوكب الا ولله تعالى فيه حكم كثيرة

في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم لونه ثم في وضعه من السماء
وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكوكب الذي بجنبه
وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ كل منها جزء الا
وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض
الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس المفكوت
الذي بينهما في كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت في كبر الارض
وانك تعرف من كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر ادمي على
ان يدور بجوانبها وقد اتفق المهندسون على ان الشمس
مثل الارض مائة مرة وبضعا وستين مرة وفي الاخبار ما يدل
على عظمتها والكواكب التي ترى اصغرها هي مثل الارض ثمانية
مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل
الارض وبهذا يعرف ارتفاعها وبهذا البعد صار يرى حقيرا
ولذلك ارتفع الخالي الى بعدها فقد ارتفع سمكها وفي الاخبار ان ما بين
السماء الى اخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد
من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التي الكواكب مركوزة

فيها والي عظمتها ثم انظر الي سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها
فضلا عن ان تدرك سرعتها ولكن اشكل في انها في لحظة تسير
مقدار عرض كوكب بان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب
الي تمامه يسير ذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة
فكذلك الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا
يدور في الدوام وانت غافل عنه وانظر كيف غير جبريل
عن سرعة حركتها ان قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت
الشمس فقال لا ثم قال كيف قلت لا ثم قال من حيث قلت لا
الي قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الي عظم
شخصها ثم انظر الي خفة حركتها ثم انظر الي قدرة القادر
الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع كفافها في حدقة العين
مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى
جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل
انظر الي بانيها كيف خلقها ثم امسكها بغير عمد ترونها وما
يمنع علاقة تذيب بها فلك العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب

هنك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالفسيفسا موهبا بالذهب
فلا يفوتك تعجبك عنه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت
ابدا تنظر الي هذا البيت العظيم والي ارضه والي سقفه واذ
هوايه والي عجايب امتعه وغرايب حيواناته وبدايع نقوشه
ثم لا تتحدث به ولا يلتفت بقلبك اليه مما هذا البيت دون البيت
الذي يقطنه بارئ ذلك البيت ايضا جزء من الارض وهي ايضا
احد جزء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه وليس لهذه
الغفلة سبب الا انه بيت ربك هو الذي انفرد ببنيانه وتزيينه
وانت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك
وفرجك ليس لكم الا شهواتك او صنمك وغاية شهوتك ان تملأ
بطنك ولا تقدر علي ان تاكل عشر ما تاكله البهيمة فتكون البهيمة
فوقك بعشر درجات وغاية صنمك ان تقبل عليك عشرة او مايه
اس معارفك بينما فقوت بالسنتهم بيت ايديك ويضرون خمايث
الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك
لا نفعهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا قد يكون

في بلاك

في بلوك من اعتبار السمو والتصاريف من يزيد جاهه على
جاه ملك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال
ملكوت السموات والارض ثم عن التشمر بالنظر الى جلال الملك الملكوت
فهلك هلاك مثل هلك الاكمل النملة تخرج من جحرها الذي
حفرته في قصر مشيد من قصور الملك فيه البيان حصين
الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخائر والنفائس
فانها اذا خرجت عن جحرها ولغيت حاجتها لم تحدث لو
قدرت على التخلف الا يوما مريئتها وغذائها وكيفية ادخارها
فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنها وعن
التفكر فيما لا قدرة لها عليها المجاوزة بالنظر عن نفسها و
غذائها وبيتها الى غيره وكما غفلت النملة عن القصر وارضه
وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفل ايضا عن ساكنه
فانت ايضا غافل عن بيت الله وملايكة الذين هم سكان سمواته
ولا تعرف من السماء الا ما تعرف النملة من سقف بيتك لا تعرف
من ملايكة السموات الا ما تعرف النملة منك ومن سكان بيتك

نعم ليس للنملة طريق الى ان تتوقف وتعرف عجايب قصر وديباجه
صنعة الصانع فيه وانما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت
وتعرف من عجايبه ما المخلوق غافلون عنه ونقبض عنان الكلام
عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له لو استقصيناه اضجرنا طويلا
لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه
قليل نذر حقير بالاضافة الى ما عرف جملة العلماء والاولياء
وما عرفوه قليل نذر بالاضافة الى ما عرفه الانبياء وما عرفوه
قليل بالاضافة الى ما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفه
الانبياء قليل بالاضافة الى ما عرفه الملائكة المقربون كاسرافيل
وجبرئيل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا
اضيف الى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق ان يسمى علما بل
الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من
لا يعرف عباده ما عرفهم ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم
الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين
في خلق الله وليس فيما تفكر في ذات الله ولكن يستفاد من الفكر في الخلق

لا يحاط

ما حالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما
استكثرت من معرفة عجايب صنع الله كانت معرفتك بجلاله
وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم العالم بسبب معرفتك بعلم
فان اقرار المتطلع على شيء يسير من تصنيفه او شعره فتزداد معرفة
وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واكراما حتى ان كل كلمة
من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيد محل العالم
قبلك ويسمو في التعظيم له من نفسك فتفكرك تأمل في خلق الله
وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والفكر
والفكر فيه لا ينتهي ابدا وانما لكل عبد منها بمقدار ما رزق
فاستقصر على ما ذكرناه ولنتصدق الى هذا ما فصلناه من كتاب الفكر
فانما نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله من حيث هو احسان
الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل
الله فقط فكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره
سبب فضل الله وسعادته والموقن ينظر فيه ليكون سبب
هدايته وسعادته وهما منذرة في السماوات والارض الا والله تعالى

يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء فمن نظر في هذه الامور
من حيث انها افعال الله وصفة استفاد منه المعرفة بجلالة الله
وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث
يؤثر بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب
ضل وازداد فنعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مذلة
اقدام الجهال بمنه وفضله والصلوة على نبيه واصحابه واز
واجه وذريته وسلم تسليما كثيرا كثيرا ثم كنا التفكر وهو التاسع
من ربع المنجيات ويتلوه انشاء الله تعالى العاشر وهو
كتاب ذكر الموت والبعث والنشور وصلى الله على سيدنا
محمد واله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب ذكر الموت والبعث والنشور وهو العاشر

من ربع المنجيات الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة
وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به امال القياصرة الذين لم تزل
قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فاذا هم في
الحافرة فنقلوا من سعة القصور الى ضيق القبور ومن ضياء

خير ابالاضافة الي الغرض لانه متمكن من نقيض المقصود و
هذا كما ان المعدة اذا تألمت فقد تداوي بان يوضع الطلاء
علي الصدر وتداوي بالشراب والدواء الواصل الي المعدة با
الشراب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد
ان يسري منه الاثر الي المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو
خير وانفع فهكذا ينبغي ان يفهم تاثير الطعام كلها اذ
المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون
الجوارح فذلك يتعذر ان في وضع الجبهة علي الارض عرض من
حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة
يوكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا
فاذا استعان باعضاء وضوءها بصورة التواضع تاكد تواضعه
وما وجد في قلبه رقة علي يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت
الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا
فان من يمسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظانا انه يمسح ثوبا
لم ينتشر من اعضائه اثر الي قلبه بتاكيد الرقة وكذلك من

يسجد ناقلا وهو مشغول بهم باغراض الدنيا لم ينتشر من
جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه بتاكيد التواضع
فكان وجوده كعدمه وماتساوي وجوده وعدمه بالاضافة
الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة باطلة
بنية باطلة وهذا معناه هذا اذا افعل عن غفلة فان قصد
به رياء او نقص شخص اخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده
شرا فانه لم يوكد الصفة المطلوب تاكيدها حتى اكد الصفة
المطلوب تمحقها وهي صفة الرياء التي هي من اميل الى
الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف
معنى قوله النبي صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت
له حسنة لان الهم القلب سو ميله الى الخير والصرافه عن الهوى
وحب الدنيا وذلك غاية الحسنات وانما الاتيان بالعمل يزيدها
تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل
القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تبارك وتعالى
وهذه الصفة قد حصلت عند حزم النية والهمة وانبعاث عن

العمل

العمل عابد فلن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن ينالة التقوى
والتقوى ههنا هو عمل القلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان قوما بالمدينة قد شركوا في جهادنا كما رويناه ان قلوبهم
في صورة ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب
الشهادة واعلاء كلمة الله كقلوب الخارجين ولما فارقوهم
بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة من القلب ولذلك
غير مطلوب الا لتاكد هذه الصفات ويجمع المعاني جميع
الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فلا عرضها عليه ليكشف
لكل اسرارها فلا نطول فلا نطول بالاعادة بيان تفصيل الاعمال
المتعلقة بالنية اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من
فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك
مما لا يتصور احصاؤه واستقصاره وهي ثلثة اقسام طاعات
ومعاصي ومباح القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها
بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وسلم
انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية

كالذي يغتاب انسانا مرلجاة تغلب غيره او يظلم فقيرا من ماله غيره
او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا
كله جهل والنية لا تؤثر في احراجها عن كونها قلما وعدوانا
ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر
فان عرف وهو معاند للشرع فانه جهله وهو عاص بجهله اذ
طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما عرف كونها خيرات
بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا بهيئات بل المرض الذي
على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا
الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس
توسل الشيطان الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه
الله ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد
هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال انعم الجهل بالجهل وهو كما قال
لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب العلم فمن يظن بنفسه انه عالم
فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله تعالى به العلم وراس العلم
العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فانه من لا يعلم العلم

التاسع

النافع من العلم الضار اشتغل به اكب الناس عليه من العلوم ا
المزخرفة التي هي وسايلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل
وشيع فساد العالم والمقصود ان من قصر الخير بمعصية عن
جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم
يجد بدا بمهلة التعلم وقد قال الله تعالى فسالوا اهل الذكر ان
كنتم لا تعلمون وقال صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل
ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على
علمه ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد بالمال الحرام
تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المستولين
بالصدور والحضور المتهورين ممتنعين على مماراة العلماء و
مباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا
واخذ اموال السلاطين والمساكين واليتامى فاذا هؤلاء
تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد في بلدته
نائبا عن الرجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد
عن التقوى ويجترئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله

ثم قد ينتشر ذلك العلم الى علم وامثاله ويتخذ ويتخذ ايضا آلة ووسيلة
في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك وربما الجميع يرجع الى
العلم الذي علم العلم مع علم بفساد نيته وقصده ومشاهدة
انواع المعاصي من اقوال وافعال وفي مطعمه وملبسه
ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم
الى ستين او اكثر فطوبى لمن مات وبات معذورا به ثم
العجب منه جهله حيث يقول انما اتعلم للنجاة وقد قصدت
بذلك شرف العلم فاذا استعلم هو في الفساد والمعصية
فمتى امن وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما
حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بجلوس العلم يحسن
ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه ويلبس
تلبيس ما جوابه عن هذا فاطلب طريقا واعتزله
خيل الى ابا باويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق
باخلاق الله وقصدت به ان يقوى بعض السفر والحمل فانا اعلم
الخيل والرباط والقوة للغزاة منا افضل القربات فانا هو صرف

في قلبه الطريق فهو العاصي وقد جمع الغزالي على ان
ذلك حرام مع ان السخاء هو احد الاخلاق التي الله تعالى يحب
قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب من قرب اليه
بواحدة منهما دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت شعري
لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينه
حاله فاذا لاح له منه عادته انه يستعين بالسلاح على
الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لانه ان يمنعه
يجده والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله وقد تعاون
به اعداء الله وهو المهوب ممن لا يزال من مؤثر الدنيا على
دينه وكهواه على اخرته وهو عاجز عنها لقلة علمه
فكيف يجوز اعتماده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى
شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من
يتردد اليهم فاذا راوا منهم تقصيرا في نقل من المواقل
انكروه وتركوا اكرامه واذا راوا منه محظورا او استحلال حرام
هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا له كليه فضلا عن تعليمه

لعلم ما لم من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها
فليس يطلب الا الة الترفع وقد تقوع جميع السلف بالله تعالى من
الفاجر العالم بالسنة وما تعوذ وا من الفاجر الجاهل وقد حكى
عن بعض اصحاب احمد بن حنبل انه كان يتردد اليه سنين
ثم انقطع ان اعرض عنه وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل
يسأله عن تغيره وهو لا يذكره فلم يزل به حتى قال له بلغني
انك طعنت حايك وادارك هذا جانب الشارع وقد اخذت
قدر سكك الطين وهو اهلة من شارع المسلمين فقال
تصلح لتعلم العلم فكذا كانت مراقبة السلف
لاحوال طلبة العلم فهذا وامثاله مما يلبس على الاغبياء
واتباع الشيطان وانكانوا ارباب الطيالسة والاحكام والوسوسة
واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضول من العلوم
التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب
في الاخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق
ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم الاقران

فاذن

فائدة قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات مختص من
الاقسام الثلثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي لان الطاعة
تنقلب معصية بالقصد فيكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب
معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد
اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا اضاف اليها قصود
خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها لما ذكرنا دلك
في كتاب التوبة القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات
في اصل صحتها او في تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان
ينوي بها عبادة الله لا غير فان نوى الرياء صارت معصية
واما تضاعف الفضل فبكثرة النية الحسنة فان الطاعة الواحدة
يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب
اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف بما حسنة عشرة امثالها
كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن
ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل الاعمال المبرز
المتقين ويبلغ به درجات المقربين او كما ان يعتقد انه

عز وجل وانه داخله زائر الله فيقصد بمزاره مولاه وحاله ومقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد الصلوة فيكون في جملة انتظاره في الصلوة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والتردد ان فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف القلب على الله تعالى ولزوم السر بالتفكر في الاخرة ودفع الشواغل الصارفة بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله او باستماع ذكره او للتذكير به كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد لا يغد الا يذكر الله او يذكر به كمثل المجاهد في سبيل الله وساداسها او يقصد افادة علم او من معروف او نهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يصلي صلوته او يتعاطى ما لا بد له فيها فيأمره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا

لله في خيره الذي تعلم منه فيقتضا عن خيراته وسابقها ان
يستفيد اخا في الله فانه غنيمة وهو خيرة للدار الاخرة والمسجد
معشش اهل الريب المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك
الذنوب حياء من الله وخوفا من ان يتعاطى في بيت الله تعالى
اما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما
من اد من الاخ ان ابى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال
اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا
او كلمة تدله على هدى او تقرفه عن ردى او يترك الذنوب
حشية او حياء وهذا طريق تكثير البيان وقس به سائر الطاعات
والمباحات اذ ما من الطاعة الا ويحتمل بيانات كثيرة وانما المحفز
في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه
فبهذا تزكو الاعمال وتقتضا عن الحسنات القسم الثالث المباح
وما من شئ من المباحات الا ويحتمل نية او نيتين يصير بها
من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فمن اعظم
خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن

سهوة وغفلة فلا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات والخطوات
واللفظات فكل ذلك يسأل عنه في القيامة اذ لم فعلها وما
الذي قصدها هذا مباح محض لا تشوبه كراهة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي
حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ان صلى الله عليه وسلم
قال ان العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن
كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب
ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه
اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه
انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من
نية فان قلت فما الذي يمكن ان يتوب بالطيب ويتوقاه
من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله فاعلم ان من يتطيب
يوم الجمعة وفي سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات
الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران
او يقصد به رياء الخلق ليتوسل به الى الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة

او

او يتودد به الي قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستميل النظر
ليهن والامور اخر لا تحصر وكل هذا يجعل التطيب معصية
فيه يكون انتن من الجيفة في القيمة الا القصد الاول وهو
التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش
في الحساب عذب ومن اوتي شيأ من مباح الدنيا لم يعذب عليه
في الاخرة ولكن ينقص من نعيم الاخرة بقدره وناهيك
حسرانا بان يستعجل ما يفني ويخسر زيادة نعيم تبقى وامّا
النيات الحسنة فان ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد واحترام
بيت الله قال ربي ان ندخلها اراد الله الاطيب الرائحة
وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجا
ورته براتحته وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن
نفسه التي تؤدي الي ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب
الغيبة علي المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فينقصون
الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر علي الاحتراز منها

فهو شريك في تلك المعصية كما قيل ما مهما تر حلت عن قوم وقد قدروا
ان لا تفارقهم فالراحلون هم ۞ وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى
السبب الى الشر وان يقصد به معالجة دماغه ليزيد به
فطنة وذكاء ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال
الشافعي رحمه الله من طاب ريحه زاد عقله وفهمه وامثاله
من البيان لا يعجز الفقيه عنها اذا كان تجارة الاخرة وطلب
الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا هم الدنيا فشغل
هذا البيان واذ ذكرته لم ينبعث له قلبه فلا يكون معه
مهما الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات
كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد غيره
ولهذا قال بعض السلف اني استحب ان يكون لي في كل شيء
نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخول الخلاء وكل ذلك مما
يمكن ان يقصد لوجه الله تعالى بان كل ما هو سبب لبقاء البدن
وفراغ القلب من مهمات البدن وهو معين على الدين فهو

قصد

قصد هذا الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه
وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله بعده ويكثر
به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا بالاكل والنكاح
واغلب خطوظ النفوس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير
ممتنع فمن غلب على قلبه هم الاخرة وكذلك ينبغي ان يحسن نية
فيما ضاع له مال ويقول في سبيل الله واذا ابلغ اغتياب غيره
له قلبه طيب قلبه بانه سيحمل سياته وسينقل الى ديوانه
حسناته وليتوقف بكونه عن الجواب ففي الخبر ان العبد
ليحاسب فتطول اعماله لدخول الامة فيها حتى يستوجب النار
ثم يشرف من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول
يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقال هي اعمال الذين اغتبتهم
واذ وكذا وظلمتهم وفي الخبر ان العبد ليوافي القيامة بحسنات
امثال الجبال فيخلص ثم لا يدخل الجنة ويأتي قد ظلم هذا وشتم
هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته
حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملائكة قد فنيت حسناتي وبقي

طالبون فيقول الله تعالى القوا عليه من سيآتهم ثم صكوا له صكا
الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيأ من سكنات ك
وحركاتك فلا تحتقر من شرورها وشرورها ولا تغفل عنها
يوم السؤال والحساب فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد
وما تلفظ من قول الا لديك رقيب عتيد وقد قال بعض السلف
كتبت كتابا واردت ان اترب من حايط جارلي فتحرجت ثم
قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف
بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري
فراه مقلوب الثوب فعرفه فمد اليد ليصلحه ثم قبضها
فلم يسوه فساله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان
اسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل
يوم القيمة فيقول يبني وبين الله فيقول والله ما اعرفك فيقول
بلى انت اخذت لبنة من حايطي وخيطا من ثوبي فهذا
وامثاله من الاخبار قطعة قلوب الخايفين فان كنت من اولي
الحزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الان وفق

الحساب

الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكت
وكما تتحرك عالم تتحرك وماذا تقصد ما الذي تنال به من الدنيا وما
الذي يفوتك به من الاخرة وبماذا ترجح الدنيا على الاخرة فاذا
علمت انه لا باعث الا الدين فاهتم بذلك وما خطر ببالك والا
فامسك ثم راقب ايضا قلبك في اسبابك وامتاعك فان تركا الفعل
فذل والا يدلم من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون الداعي هو
حقي الا ان يكون عليه ولا يغرنك ظواهر الامور وتسموا ان الخير
والشر في الدواعي والاسرار تخرج عن حيز اهل الاعتبار فتدبر
عن زكريا صلوات الله عليه انه كان يعمل في حائط بالطين وكان
اجير القوم فقدموا له رغيفة اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فوضل
عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموه من
سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني
اعمل القوم باجرة وقدموا الي رغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو
اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فابصر بهذا
ينظر الى البواطن بنور الله فان ضعف عن العمل تقصيرا في فرض

وترك الدعوة نقص في فضل والاكل للفضائل من الفرايض وقال
بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل فما كلمني حتى لحق
اصابعه ثم قال لولا اني احذرك بدين لاحببت ان تاكل
منه وقال سفيان من عاد رجلا ليطعمه وليس له رغبة في
ان ياكل معه فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه
وزر واحد وان اراد باحد الوزرين الوفاق وبالثاني تقريض
اخيه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد النية في
سايرالاعمال قال ابوحامد والمجمع الاتية فان لم يحضره النية
توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار بيان ان النية ليست داخلة
تحت الاختيار اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين
النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات
فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس
لله او اتجر لله او اكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك
حديث نفس او حديث لسان او فكر وانتقال من خاطر الى خاطر
والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها

وميلها

وميلها الى ماظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او اجلا او اميل
اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة قبل ذلك كقول
الشجعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه وقول الفارغ نويت
ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي فذلك مما يدل الطريق الي
اكتساب صرف القلب الي الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب
اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر واما تتبعه النفس
الي الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم
لها مما لم يعتقد الانسان ان غرضه سقوط يفعل من الافعال فلا
يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر علي اعتقاده في كل حين
واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف
عنه بغرض شاغل اقوي منه وذلك لا يمكن في كل وقت و
الدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة ربما تجتمع ويختلف
ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح
ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع
علي نية الولد بل لا يمكن الا علي نية قضاء الشهوة اذ النية هي

ابتاعش ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب
على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان
يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم
طريق اكساب هذه النية مثل ان يقوي اولا ايمانه بالشرع
ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى
الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من
ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك تحرك البعث
من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحرك تلك الشهوة
تتحرك لاعضاءه مباشرة العقد فاذا انتهضت القوة المحركة
للسان بقول العقد اطاعة لهذا الباعث الغالب على القلب
كان ناويا فان لم يكن كذلك مما يقدره في نفسه ويردده في قلبه
من قصد الولد وسواس وهذيان وبهذا امتنع جماعة من
السلف من جملة من الطاعات اذا لم يحضرهم النية وكانوا يقولون
ليس يحضرني في نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة

الحسن

الحسن البصري وقال ليس يحضرني نية وبادى بعض امراته
وكان يسرج شعره ان هان المدري جيي بالمراة فسكن ساعة
ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدري نية ولم يحضرني
في المراة نية فتوقفت حتى دعاها الله تعالى ومات حماد بن
ابي سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للنوري الا تشتهي
جارية فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عن اعمال
البر قالوا ان رزقنا الله نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث الا
بنية فكان يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيتبين فقيل له
في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت لي نية فعلت
وعلى ان ابا داود بث الخبر لما صنف كتاب العلل جاء احمد بن
حنبل فعلبه منه فنظر فيه احمد صفحة فرده فقال مالك قال فيه
اسانيد ضعاف فقال له دع وداتم اخرج على الاسانيد فانظر
فيه بعيني الخبر انما نظرت فيه بعين العلم فانتفعت قال احمد
فرده علي حتى انظر فيه بالعين الذي نظرت فاخذه ومكث عنده
طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ما دعاك الى

فقال حتى اجدد نية وقال بعضهم انا في طلب نية بعبادة رجل منذ
عشرين فما صحت لي بعد وقال عيسى ابن كثير منذ ثلثين او يومين
ثم مر ان فلما انتهى الى باب داره انصرف فقال له ابنه
الا تدخل عليه العشار قال ليس من نيتي وهذا من النية
تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا يرون ان
يعلموا عمل الابشية لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل
لغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لاسبب قرب
ليعلموا ان النية ليس هي قول القائل بقلبه نويت بل هو انبعاث
القلب بحسب ما يجري من التوفيق من الله قد يتيسر من بعض الاوقات
وقد يتعذر ربما كان الغالب على قلبه امر الدنيا يتعسر عليه في
اكثر الاحوال احضار النية للخير ان فان قلبه مايل بالجملة الى اصل
الخير فينبعث الى التفاصيل بحالها وان حال قلبه الى الدنيا وشهواتها
عليه لم يتيسر له ذلك الا بتيسير الله تعالى في الوقت الا بجهد جهيد
وغاية ان يتذكر النار ويحذر نفسه منها او نعيم الجنة ويرغب نفسه
فيها فان هذا ينبعث لا محالة ضعيفة فيكون جوابه بقدر رغبته ونيته

واما

واما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية
فلا يتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز البيان واعلاها ويعز
من يفهما فضل الله يؤتيه من يشاء والناس في الطاعات
اقسام اذ منهم من يكون على اجلة الباعث الخوف فانه يتقي
النار ومنهم من يعمل اجابة الباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة
وهذا وان كان ناز لا بالاضافة الى فضل طاعة الله وتعظيمه
وتعظيمه لذاته وجلاله لا لامر سواه فهو من جملة البيان
الصحيحة لان ميل الى الموعود في الاخرة وان كان من جنس الحاوف
في المعاد وغلب البواعث باعث الفوز والبطن وهو ضد قضاء
وفرضها الجنة فالكامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير
السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة
البله واما عباده ذوي الالباب فلا يجاوز ذكر الله والتفكر فيه
حبا لجماله وجلاله وسائر الاعمال تكون موكولات وروادف وهي لا
ارفع درجة من الاكل والشرب والمنكوح والمطعوم في الجنة فانهم
لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون

وجهه فقط وبناب الناس بقدر نياتهم فما اجرم يتنعمون
بالنظر الي وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الي وجوه
الحور العين كما يسخر الممنع بالنظر الي الحور العين ممن يتنعم
بالنظر وجوه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان
التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد
واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة
من الطين بل استطام النفوس البهيمة الشهوانية لفقدان
الوطر من لطمة الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم
يضاهي استغراق الخنفساء لها حبتها والغنها واعراضها
عن النظر الي جمال وجوه الناس في اكثر القلوب عن البصائر
جمال الله وجلاله يضاهي عمي الخنفساء عن ادراك جمال
الناس فانها لا تشعر بها اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل
وذكرت له لسخرت عقل من بليات اليمن ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك كما حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم
راي محمد بن حمزة ربه في المنام فقال له كمل الناس يطلبون

في الجنة الا ابا يزيد فانه يطلبني ورأى ابو يزيد ربه في المنام
فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال
وروي الشبلي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني
على الدعاوي بالبرهان الا على قول واحد قلته يوما اي
خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اي خسران اعظم من
خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات
ومن غلب على قلبه واحد منها وعلم يتيسر له العدل الى غيرها
ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا واوقاتا لا يستدركها الظاهريون
من الفقهاء فانا نقول من حضرته نية في المباح ولم تحضره
في فضيلة مع المباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة
في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه
افضل من الانتصار في الظلم وربما يحضره نية في الانتصار
دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في
الشرب والاكل والنوم ليستريح نفسه ويتقوى على العبادة
في المستقبل وليس ينبعث نية في الحال للصوم والصلوة فالاكل

والنوم هو الافضل له بل لو ملء من العبادة فلهو الجلسة عليها وسكن
نشاطه وضعف رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بل هو وحدث
عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلوة قال ابو الدرداء رضي
الله عنه اني لاستجم نفسي باللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق
وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وعن
دقايق يدركها سائر العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذقة
بالطب قد يعالج المحرور بالمحم مع حرارته ويبعده القاصر
في الطب وانما ينبغي ان يعيد او لا قوته ليحمل المعالجة
بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس
مجانا ليتوصل به الى الغلبة وضعيف البصر قد يضحك به
ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يقبل على الكر ويولي الخصم
دبره ليستجره الى مضيق فيكر عليه فكذلك سلوك طريق الله
كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف
فيها على لطايف من الحيل يستعين الضعفاء فلا ينبغي للمريد
ان ينصر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على اساذه

بل

بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالها
يسلم لها الي ان ينكشف له اسرارهما بان يبلغ رتبتهما
ويناله درجتهما الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته
ودرجاته فضيلة الاخلاص قال الله تعالي وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين
تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
فمن يعمل لله ويجب ان يخلص عليه وقال صلى الله عليه
وسلم ثلث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله وعن
مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت لابي ان لم فضل علي
من هو دونه من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال صلي الله عليه وسلم انما نصر الله هذه الامة بضعفائها
ودعوتهم واخلاصهم وعن الحسن قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالي الاخلاص سر من
سري استودعته قلب من احببته من عبادي وقال علي بن ابي طالب

رضي الله عنه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزيك منه القليل
وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله اربعين
يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى
الله عليه وسلم اول من يسأل يوم القيمة ثلثة رجل اتاه العلم
فيقول الله ماذا صنعت فيما علمت قال يا رب كنت اقوم به اناء
الليل والنهار فيقول الله كذبت ويقول الملئكة كذبت بل اردت
ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل اتاه الله مالا فيقول الله
قد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق اناء
الليل والنهار فيقول الله كذبت ويقول الملئكة كذبت بل اردت
ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله
فيقول الله ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى
قتلت فيقول الله كذبت ويقول الملئكة كذبت بل اردت ان يقال
فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة رضي الله عنه ثم خط رسول
الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق

يسعرهم نار جهنم يوم القيمة فدخل راوي الحديث على معاوية
وروى له هذا الحديث فبكى معاوية حتى كادت تخرج نفسه
ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين
ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما
كانوا يعملون وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله تعالى
دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة
من دون الله فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد
الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد
رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك
تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغيرك فقال ان هذا
من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتلك فاخذه العابد
فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال ابليس اطلقني حتى اكلمك
فقام عنه فقال ابليس يا هذا ان الله قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه
عليك ولا تتعبد بها انت وما عليك من غيرك والله تعالى ابنياء في الارض

ولو شاء لبعثهم الي اهلها وامرهم بقطعها قال العابد الا بدي
من قطعها فبايذه القتال فغلبه العابد وصرعه ووقع علي
صدره فجر ابليس فقال هلاك في امر نصل بيني وبينك
وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتي اقول لك
فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كما علي
الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل علي اخوانك
وتواسي جيرانك وتشبع عيالك وتستغني عن الناس قال
نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك
في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما وانفقت علي عيالك
فرجع يقول من يشتري مني نفسك وعيالك ويقدفتني اخوانك
فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي تغرس
مكانها ولا يضرهم قطعها ولا ينفعه اخوانك الموحدين وقطعك
اياها فتفكر العابد فيما قال وقام الشيطان ليقطع الشجرة فقال له
ابليس ليس بيني وبينك فيلزمني
قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا
بتركها وما ذكرته انفع لي فعاهده علي الوفاء بذلك وحلف له

فرجع العابد الى منزله فبات فلما اصبح راى ديناريين عند
راسه فاخذهما وكذلك اليوم الثالث وما بعده
فلم يرزق فغضب واخذ فاسه على عاتقه وخرج حتى وقع
الشجرة فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال له العابد
اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك
ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليأخذه كما فعل اول مرة
فقاده هينا واخذه ابليس فصرعه فاذا هو كالعصفور بين
رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتستحين عن هذا
الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا طاقة له فقال يا هذا
غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اول وغلبتني الان فقال
لانك غضبت اول مرة لله وكانت نيتك الاخرة فسخر بي الله
لك وهذه المرة غضبت لنفسك والدنيا فصرعتك وهذه الحكاية
تصديق قوله الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد
من الشيطان الا باخلاص ولذلك كان معروف الكرخي
يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي وقال يعقوب المكفوف

المخلص منكم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى
لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله وكتب عمر بن
الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري من خلصت
نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء
الى اخ له اخلص النية في الاعمال يكفك القليل من العمل
وقال ايوب السختياني تخلص النية على العمل اشد
عليهم من جميع الاعمال وكان معروف يقول من صفى صفى له
ومن خلط خلط عليه ورأى بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت
اعمالك فقال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطها
من طريق وحتى هرة مائت لما رأيتها في كف الحسان وكان
في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة الميزان وكان
قد تفق حماري بقيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت
موت سوء في الحسان وموت حماري فيهما فقيل لي انه قد
وجه حيث بعثته فانه لما قيل لك قد مات قلت في لغة الله
فبطل اجر كلها ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية

وكنت

وكنت تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدتها
لا علي ولا لي فقال سفيان لا اسمع هذا احسن حالة اذا لم يكن
عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز
العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان
رجل يخرج في ريح الشاء ويحضر موضعا فيه عرس او مأتم
يجتمع فيه الشاء فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع
الشاء فرمت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى يفتش
فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امرأة
فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا
اعود الي مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا ان
الملقي المرأة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما
مع ابي عبيد الشربي وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم
عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال
ابو عبيد الامر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني
فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سالني ان اجج معه فقلت لا

فتكلت هذا فعلت قال ليس لي في الجزيرة وقد تبت ان اتم عد
الارض العشية فاخاف ان حجت معه الجلة تعرض لمقت
الله تعالى لاني ادخل في عمل الله شيأ غيره فيكون ما انا فيه اعظم
عندي من سبعين حجة ويروى عن بعضهم قال غزوت في
البحر فرض بعض محلة فقلت اشتريها فاتبعه بها في
غزوتي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها
فرايت تلك الليلة في النوم كان شخصين نزلا من السماء فقال
احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملاء عليه فقال اكتب خرج
فلان مقتزها وفلان مرابيا وفلان تجارا وفلان في سبيل الله
ثم انظر الي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت والله
في امري ما خرجت الا تجارة انجر فيها فاخرجت
الانفر وقال لي يا شيخ قد اشتريت امس ملاحة تريد ان
تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبني تاجرا فنظر الي صاحبه وقال
ما تريد فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى فيطريقه
ملاحة ليربح فيها حتى يحكم الله تعالى فيه ما يريد وقال لي

السوجلي

لستطيع ان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان
تكتب سبعين حديثا او سبعاية بعد اساد وقال بعضهم في
اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز وقال العلم
بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله
تعالى عبدا اعطاه ثلثا ومنعه ثلثا اعطاه صحبة الصالحين و
منعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص
فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال مراد الله من عمل
الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان الله عباد اخملوا فما عملوا
عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب
المراجعة وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى
اصلين فعل منه وفعل منك افترضني ما فعل وتخلص فيما
تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين بيان
حقيقة الاخلاص اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا
صفي عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا وسمي العمل الصفي
المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا

سائغا للشاربين ولما خلوص اللبن لا يكون فيه شوب
من الدم والفرث ومن كلام يمتزج به والاخلاص ضده الا
شراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان للشرك درجات فا
لاخلاص في التوحيد ضده التشريك في الالهية والشرك
منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص ضده يتواردان
على القلب فمحلهما القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات
وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما
كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا
بالاضافة الى المنوي فمن تصدق ليصدقة عن غرضه محض
الرياء فهو مخلص ومنه كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى
فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد
قصد التقرب الى الله عز وجل من جميع شوائبه كما ان الالحاد عبارة
عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه
مجرد الرياء فهو متعرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما
يتعلق في كتاب منزلق المهلكات وقد ورد في

الخبر

الخبر من ان المرائي يدعى في القيامة باربعة اسامي يا مرائي
يا مخادع يا مشرك يا كافر وانا نتكلم الان فيمن ابتغى لقصد
التقرب ولكنه امتزج بهذا المباعث باعث اخر اما من الرياء
او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم ليستفيد
بالحمية الحاصلة بسبب قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص
من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او
ليتخلص من شر تعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في
منزله او يتبرم باهله وولده او يشغل هو فيه فاراد ان يستريح
عنه ايا ما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به
على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالبلد له غرض فيدفع
النعاس عن نفسه به ليراتب رحله او اهله او يتعلم ليسهل عليه
طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون
عقاره واموالة محروسة بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس
والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بهذه الحرية
او تكفل بخدمة العلماء والصوفية ليكون حرمته وافرة عندهم وعند

وعند الناس او ينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة
على الكتبة خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكوار او توضأ
ليستلقن او يتبرد او اغتسل لتطيب رائحته او روى الحديث
ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن
او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ باشتغاله
قال ليشغله الاكل عنهما او تصدق على السائل ليقطع ايراءه با
بالسؤال عن نفسه او يعود مريضا او يشيع جنازة ليعاد اذا
مرض ويشيع جنائز اهله او يفعل شيئا منذ ذلك ليعرف
بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوفاء فمهما كان
باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن اضاف اليه خطوه من
هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد
خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه
الله وتطرق الشرك اليه وقد قال الله تعالى انا اغنى الاغنياء
عن الشرك وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا يستريح اليه النفس
ويميل اليه القلب قل او كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه

وزال

وزاله بما خلاصه والانسان مرتبة في حظوظه منغمس
في شهواته قل ما يفكر فعل هذا فعالم وعبادة من عباد
الله عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك
قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى
نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه
الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث فيه الا طلب القرب من
الله تعالى وهذه الحظوظ وان كانت هي الباعثة وحدها فلا
تخفى شدة الامر على صاحبها فيها وانما نظرنا فيما اذا كان
القصد الاصلي هو التقرب الى الله واضافت هذه الامور اليه
ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة
المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في هيئات النيات
وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني
او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره وانما
الاخلاص تخليص القلب عن هذه الشوائب كلها قليلها و
كثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا

لا يتصور الا لمن هو محب الله تعالى مستغرق بهم
بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل
والشرب الا بقدر ما يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من
حيث انه ضرورة الجملة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه
يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى لو كفي مؤنة الجوع حتى
لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائد
على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة
دينه فلا يكون لهم الا الله فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او
قضى حاجته كان خالصا لله تعالى صحيح النية في جميع
حركاته وسكونه فلو نام طلبا لترويح نفسه فيتقوى به على العبادة
كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه فمن ليس كذلك
عباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان
من غلب عليه حب الله تعالى وحب الاخرة فاكتسب حركاته الاعتيادية
صفة هم وصارت اخلاصا كالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو
والرياسة وبالجملة من غلب عليه حب غير الله تعالى اكتسب جميع حركاته

تلك الصفة فلا يسلم له عباداته وصومه وصلوته الا نادرا فعلاج
الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد
للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذذاك يتيسر الاخلاص
وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه
الله تعالى ويكون فيه مغرور الا انه لا يدري وجه الافة
كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت
صليتها في المسجد في الصف الاول الا اني تاخرت يوما لعذر
وصليت في الصف الثاني فاعتريتني خجلة من الناس حين
رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف
الاول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر
وهذا دقيق غامض وقل ما يسلم الاعمال عن امثاله وقل من
يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون يترون حسناتهم
في الاخرة كالسيئات وهم المراؤون بتركه تعالى وبدالهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدالهم سيئاتهم عملوا وقوله
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة

يحسبون انهم يحسنون صنعا واسئل الحلق تعرضا لهذه الفتنة
العظماء فان الباعث للاكثرين منهم على نشر العلم لذة الاستيلاء
والفرح بالاستتباع والاستبشار بالجمع والثناء والشيطان يلبس
عليهم ذلك ويقول لهم ضنكم نشر دين الله والدفاع عن شرع رسوله
الله وترى الواعظ على الله تعالى بنصيحة الخلق وعظه
للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي
انه يفرح بما يسر لهم من نصرة الدين ولو ظهر منه اقرانه هنات
لواجتنبه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا على غيره
ذلك وعمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله
هذا اللهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما
غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس
عنك الى غيرك اذ لو انقطعوا يقول لك لكنت انت المثاب واغتمامك
بفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق و
تسليم الامر لله افضل اجرا لثواب واعود عليه في الاخرة من
انفراده وليت شعري لو اغتم عمر بتصدري ابي بكر رضي الله عنهما

للامامة اما نعمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان
ذلك كان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو
اصلح اعود عليه في الدين من تكلفه بمصالح الخلق وما فيه
من الثواب الجزيل فرح عمر رضي بانتقال الامر منه واولى منه
بالامر مما يال العلماء لا يفرحون بذلك وقد يخدع بعض اهل
العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو
اولى منه بالامر لفرح به واختباره بذلك عن نفسه قبل التجربة
والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة الانقياد
في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير
به ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد
النفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص
والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد
الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن
العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقايق واياك ان تتبع
الشيطان وهو لا يشعر بيانات اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السري الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من شاهد في
الاخلاص الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما
ذكره اشارة الى تصفية العمل عن التعجب بالعمل فان الالتفات
الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والاخلاص
خاص عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل
الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركته لله تعالى خاصة
وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابراهيم
بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي
شيء اشد على النفس قال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب
وقال رويم الاخلاص هو في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه
في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس آفة آجلا
وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول
بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى
اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء
الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا

فهو

فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي
الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القائل لا يتحرك الانسان
الا لحظ او لبراءة من الحظوظ صفة الالهية وهذا ادعاء فهو
كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي
البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وهذا كفر حق
ولكن القوم انما اردوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو
الشهوات الموصوفة في الجنة فقط واما التلذذ بمجرد المعرفة
والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا هو لا وهذا الذي
يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهو الذي خلقوا لاجله
فيه منتهى اللذة الطاعة والمناجاة ولازمة السجود بحضرة الالهية
سرمدا جمعنا الله في الجنة لا نستحق وهاهو ان اتقوا الله فاني كتبهم
لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيرهم
وقال ابو عثمان الاخلاص سياسة ربوبية الخلق بدوام النظر الى
الخالق وهذا اشارة الى افة الرياء فقط فانكر لكن قول بعضهم
الاخلاص في العمل لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك

فيكتبه فانه اشارة اليه اخفاء وقد قيل الاخلاص ما استر عن
الحفاظ ورق وصفا عن العلائق وهذا جمع المقاصد وقال المحاسبي
هو اخراج الخلق من معاملة الرب وهو اشارة الى افة الرياء
كذلك قولهم الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج
عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى صلوات الله عليه
ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده
عليه احد وهذا ايضا تعرض للرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى
الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال
من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل
من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وقيل
الاخلاص دوام المراقبة وسيأتي الخوض كلها وهذا هو البيان
الكامل ولا قاويل في هذا كثيرة ولا فايدة في تكثير النقل بعد انكشاف
الحقيقة ولها البيان الشافي بيان سيد المرسلين وخاتم النبيين
صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله
ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم

في عبادتك

في عبادته كما امرت وهذا اشارة الى قطع كل ما سوى الله تعالى
عند مجري النظر وهو الاخلاص حقا بيان درجات الشوائب
والافات المكدرة للاخلاص اعلم ان الافات المشوشة للاخلاص
بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجهال
وبعضها قوية مع الخفاء ولا توهم اختلاف درجاتها في
الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الرياء
فلنذكر منه مثالا فنقول وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى
وهي ان يدخل الشيطان الافة على المصلي منها كان محلها
في صلوته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له
حسن صلوتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار و
الصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فيخشع جوارحه ويسكن
اطرافه ويحسن صلوته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك
على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية ان يكون المريد
قد فهم هذه الافة واخذ منها حذره فصار لا يطمع الشيطان
فيه ولا يلتفت ويستمر في صلوته كما كان فيأتيه في معرض

الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومن ظهر البك وما تفعله
يؤثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت
وعليك الوزر ان اسأت فاحسن عملك بين يديه فعساه
يقتدي بك في الخشوع ويحسن العبادة وهذا اتحض من
الاول وقد يتخدع بهذا لا يتخدع بالاول وهو ايضا عين
الرياء وهبط الاخلاص فانه ان كان يريد الخشوع وحسن
العبادة خير الا يرضى لغيره تركه فلم يرتضي لنفسه ذلك
في الخلوة ولا يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه
فهذا محض التلبيس بل المقتدي به هو الذي استقام
في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون الثواب
عليه فاما هذا محض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به
اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره
من نفسه ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق
عما قبلها ان يحب العبد نفسه في ذلك ويتهيم لكيد الشيطان
ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة لغير محض الرياء

ان الاخلاص في ان يكون صلوته في الخلوة مثل صلوته في
الملا ويستحي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلق
تخشعا زايدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن
صلوته على الوجه الذي يرتضيه في الملا وايضا كذلك هذا
ايضا من الرياء الخامس لانه حسن صلوته في الخلوة لحسن
في الملا قد فرق بينهما في التفاته في الخلوة والملا الى الخلق
بل الاخلاص ان يكون مشاهدة البهايم لصلوته ومشاهدة
الخلق واحدا فكان نفسه هذا البيت تسمح باساءة الصلوة
بيت اظهر الناس ثم يستحي من نفسه ان يكون في صورة
المرائين ويظن ان ذلك يزول بان يسوي صلوته في الملا
والخلاء وهيهات يزول ذلك بان من التفت الى الخلق لا
يلتفت الى الجمادات في الخلاء والملا جميعا وهذا شخص
مشغول الهم بالخلق في الملا والخلاء جميعا وهذا من المكايد
الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان
يترك الناس وهو في صلوته فيجيء الشيطان عن ان يقول

له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يقطن لذلك فيقول له الشيطان
تفكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن انت واقف بين يديه
واستحيي من الله ان ينظر الله الى قلبك وهو غافل عنه
فيحضر ذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين
الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره
الى جلال الله تعالى لكانت هذه الخطرة تملأ رعبه في الخلق ولكان
لا يختلف حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من
هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر مما يلغى في الخلق كما يلغى
في الملأ ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما
لا يكون حضور بهيمة سبباً لما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو لا محالة غافل عن صفوا
الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك
اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة
الظلماء على الصخرة الصماء كما يرد به الخبر ولا يسلم من الشيطان
الا من وفقه الله ونوره وسدد بعصمة الله وتوفيقه ورعايته واما

فالشيطان ملازم المستمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة
حتى يحملهم على الرياء كل حركة من الحركات حي في كحل العين
وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه
سنن في اوقات مخصوص والنفس فيها حظ خفي لارتباط
نظر الخلق بها والاستيناس الطبع بها فيدعو الشيطان الي
فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون ابتغاء
القلب باطنا لاجل تلك الشعوان من الخفية او مشوبة
بها شوبا يخرج من حد الاخلاص بيده وما لا يسلم عن
هذه الافات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد
معمور نظيف حسنة الهارة يانس الطبع به فان الشيطان
يرغبه ويكثر عليه من فضايل الاعتكاف وقد يكون المحرك
الحقي في سره وهو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة
الطبع وتبيين ذلك في ميله الي احد المسجدين او احد
الموضعين اذا كان حسن من الاخر وكذلك امتزاج شوايب
الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لمعرى النفس

الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها
ما يغلب ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق
بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان
وخبث النفس اخفى من ذلك ودقائق كثيرة ولهذا قيل
ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل وانما يدرك
العالم البصير بدقايق آفات الاعمال حتى يخلص منها فان
الجاهل ينظر الى تمام العبادة واعترارها كنظر السوادي
الى جمرة الدينار المموهة واستدارتها وهو بين في نفسه
وقيراط من الخالص الذي يعرف تضييع الناقد خير من دينار
يرتضيه الصبي العبي فهكذا يتفاوت امر العباد ترتيبا الى
واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى حصون الاعمال لا يمكن
حصرها واحصاؤها فليقتصر ههنا على ذكر امثلة لا قطن يغنيه القليل
عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل الجلي فاما الفايدة في التفصيل
بيان حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب به العمل الكامل يكون
خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به مشوب من الرياء او حظوظ النفس

فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا او يقتضي عقابا ام لا يقتضي
شيئا اصلا قال ليكون له والا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء
فهو عليه قطعا وسبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه
الله تعالى فهو سبب الثواب واما النظر في المثوب وكلم
الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن معارض
فيه والذي ينقدح لنا والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة
البواعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي
تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان الباعث الرياء
اغلب واقوى فهو ليس ينافع بل هو مع ذلك معصية ومقتضي
للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب الذي تجرد فيه للرياء
ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد الثواب اغلب
لا اضافة الى الباعث الاخر فله ثواب بقدرها فضلا من قوة
الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا
يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا

على فصل الرياء بحيث من القدر الذي يساويه وبقيت زيادة
وان كان مغلوبا اسقط به شيء من عقوبته القدر الفاضل
وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكيد
صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك
وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما
قوته بالعمل على وفقه فاذا اجتمعت الصفتان في القلب
فهما متضادتان فان العمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوي
تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب
فقد قوي ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والاخر منجي فان
كان تقوية هذا بقدر تقوية الاخر فقد تعارضا فكان كالمستغرق
بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول ما يبرد ربما يتعادلان
قدر قوته فيكون بعد تناولهما كما لم يتناولهما فان كان احدهما
غالبا لم يخل الغالب عن اثر فيحط لا يضيع وثقال ذرة من الطعام
والشراب والادوية ولا يتفكر عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى
فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا يتفكر عن تاثير في القلب

القلب الى سويداه في تقربه الى الله تعالى وابعاده فاذا جاز
بما تقربه شبرا ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن
للمد دلالة عليه وان كان الفعل مما يقرب شبرين والاخر يبعده
شبرا واحدا فضل له بحسنة شبر وقد قال صلى الله عليه وسلم
اتبع السيئة الحسنة تمحوها فان كان الرياء الحسنة يمحوها الاخلاص
الحسنة عقيبها فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضرورة
ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من حج حاجا ومعه تجارة
صح حجه وطاب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس
ثم يمكن ان يقال انما ناب على اعمال الحج عن انتهايته الى مكة
وتجارته غير موقوفة عليه وهو خلاف ما ذكرتموه من الشركة في طريق المنافع
والارباح فيهما معا فهو تجارة في نفسها والصواب ان يقال مهما
كان الحج هو المقصد الاصلي وكان عرض التجارة كالمعين و
التابع فلا يخفف ثواب السفر عن ثواب وما عند الله افضل
لا يدرك ان في انفسهم لمضغة بين لحمين الكفال فيها جهة يكثر
فيها الغنايم وبين جهة كاغنمة فيها ويعد ان يقال ادراك

هذه الفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال
اذا كان الباعث الاصلي والمرجح القوي اعلاء كلمة الله تعالى
وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب
نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا
فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالايات والاخبار
تدل على ان سقوط الرياء محبط للثواب ومعناه سقوط طلب
الغنيمة والنجاة وسائر الحظوظ فقد ربي طاوس وعدة
من التابعين ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عمن يقاتل
للمعروف اذا قاتل يتصدق لحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول
له حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فقد قصد الاجر وجمعه
وروي معاذ رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم قال اياك الرياء شركه
وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال
لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن عبادة ان
الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل لي عملا

فاشرك

فاشركني في غنيمتي وعن شريكي وروى ابو موسى رضي الله
عنه ان اعرابيا اتاه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
الرجل يقاتل حمية والرجل والرجل يقاتل شجاعة والرجل
يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من
قاتل ليكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن
رضي يقولون قال ان شهيدا ولعلم ان يكون قد اردفني
راحلته وروى قال ابن مسعود رضي الله عنه قال صلى الله
عليه وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فقوله
فهذه الاحاديث كما قدمنا ما ذكرناه بل المراد بها من
لم يرد بهاجرته الا الدين فقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا او
كان ذلك هو الغالب على همه وقد ذكرنا ان ذلك من عصيان
وعدوان لا يحل من طلب الدنيا عليه حرام ولكن طلبها بالجهاد
الدين حرام كما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها
واما لفظ الشركة حيث ورد فمطلقه للتساوي وقد بينا انه
اذا تساوي القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي

ان يرجي عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه
لا يدري الي الامر يئت اغلب قصده فمن يكون عليه وبالا
ولذلك قال الله تعالي فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا اي لا يرجي اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها
السلامة يجوز ان يقال منصب الشهادة لا تنال الا با
خلاص في الغزو وبعيد ان يقال داعية الدينية يزعجه
الي مجرد الغزو ولم يكن غنيمة وقد علي غزو وطائفتين
من الكفار احديهما اغنياء والاخري فقراء فمال الي جهة
الاغنياء علما كلمة الله تعالي والظنية انه لا ثواب له
علي غزوه البتة نعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فانه
حرج في الدين ومدخل الياس علي المسلمين لاذا اهمال
هذه الشوائب التابعة قطعا ينقل الانسان منها الاعلي
الندور فيكون تاثير هذا في نقصان الثواب فاما ان
يكون في احباطه فلا نفع الانسان فيه علي خطر عظيم لانه
ربما يظن ان الباعث الاقوي هو قصد التقرب ويكون

الاعلي

الا علي علي سره الحظ النفسي وذلك مما يخفي غاية الخفاء
فلا يحصل الامن الا بالاخلاص والاخلاص اصعب ما يستيقنه
العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون
ابدا بعد كمال الاجتهاد متردد ابين الرد والقبول خائفا
ان يكون في عبادته افة تكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا
كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي ان يكون
كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لاعمال اظهر من عملي وقال
عبد العزيز المكي رأيت جاورت هذا البيت ستين سنة
وجهدت ستين سنة فما دخلت في شيء من اعمال الخير
الا رجاء ان يقبل فوجدت نصيب الشيطان او في نصيب من
الله تعالى ليس لي ولا علي وهو هل لا ينبغي ان يترك
العمل عند خوف الافة كالرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان
منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص فمهما تركا العمل فقد
ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء
كان يجالس ابا سعيد الخراز ويخلف في اعماله فتكلم ابو سعيد

يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل
حركة يطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستفسر
الشيخ به فساله عن ذلك فاخبره بمطالبة نفسه بحقيقة
الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال
ابو سعيد لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب
على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك
العمل وانما قلت اخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل
بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك الباب الثالث
في الصدق وفضيلته وحقيقته فضيلة الصدق قال الله تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل
ليصدق حتى يكتب صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور
والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند
الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق
منه والله تعالى وصف به الانبياء في معرض المدح والثناء

فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر
في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اربع من كن فيه فقد زين الصدق والحياء
وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله
بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي
رايت منصور الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك
فقال غفر لي ورضي عني واعطاني لم اعمل فقلت احسن ما توجه
العبد الى الله ما ذا قال الصدق اقبح ما توجه به الكذب
وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سبيلك
والله تعالى غايتك واشكر وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا
فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن
علي الكتاني قال وجدنا دين الله مبنيا على ثلثة ارکان
على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل
على القلوب والصدق على العقول وقال النوري في
قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله

وجوههم مسودة قال لهم الذئب ادعوا محبة الله
تعالى ولم يكونوا فيها صادقين واوحى الله تعالى الى
داود صلوات الله عليه يا داود من صدقني في سريرته
صدقته عند الخلوقين في علانيته وصلح رجل في مجلس
السلطان ورمي نفسه في دجلة فقال ان كان صادقا فالله
ينجيه كما انجى موسى صلوات الله عليه وان كان كاذبا
فالله تعالى يغرقه كما غرق فرعون وقال بعضهم اجمع
العلماء والفقهاء على ثلث خصال انها اذا صحت بعقبها
النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة
والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال
وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين
وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرأ
وفيها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب
اوضع من الغضب ولا قرين ارين من العجب ولا رفيق
اشين من الجهل ولا شرف اعلى من التقوى ولا كرم اوفر

من

من ترك الهوى والعمل افضل من الفكر والحسنة اعلى من
الصبر والسيئة اخرب من الكبر ولا دواء اليق من الرفق
ولا داء ارجح من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا
دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى
اشقى من الجمع ولا جيوة اطيب من الصحة ولا معيشة
اهنى من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد
خير من التقوى ولا حارس احفظ من الصمت ولا غايب
اقرب من الموت وقال محمد بن سعد المروزي اذا طلبت
الله بالصدق افلاك الله تعالى مراة بيدك حتى تبصر كل
شئ من عجايب الدنيا والاخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ
الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك و
بين خلق الله وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح امور
سبيل قال قد بقينا من بين حيارى نطلب الصدق ما اليه
سبيل؟ فلعاوي الهوى تخفى علينا وكل ان الهوى علينا
ثقيل؟ وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال

الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقي والحياء و
طيب الغذاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله
عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق
وعن الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم
قال ليسأل الصادقين عن انفسهم عن صدقهم عند ربهم
وهذا امر علي خطر ببيان حقيقة الصدق ومعناه اعلم
ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معاني صدق في القول
وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في
الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات
الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق
لانه مبالغة من الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له
حظ من الصدق في شيء من الجملة وهو صادق بالاضافة الى
ما فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك يكون
في الاخبار فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان
يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف

فيه

فيه وصف على كل عبد ان يحفظ اقواله والفاظه فلا يتكلم
الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق والله هو من
حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي فهو
صادق ولكن لهذا الصدق محاسن احدها الاحتراز
عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن
الكذب وكذلك لا كفاية تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب
تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك
ما يمس الحاجة ويقتضيه المصلحة في بعض الاحوال
وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم
وفي الحذر عن الظلمة وقتال الاعداء والاحتراز عن
اطلاعهم على اسرار الملك فمن احتاج الى شيء من ذلك
فقصد فيه ان يكون ناطقا فيه لله تعالى بما يامر الحق
به ويقتضيه الدين فانه ان نطق به فهو صادق وان كان
كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل
للدلالة على الحق والدعاء اليه فكل ما ينظر الى صورته بل الى

معناه ثم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل العبد الي المعاريض
ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا
اراد سفرا وري بغيره وذلك كيلا يتفطن الخبر الي الاعداء
فيقصد وليس هذا من الكذب في شئ قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين
فقال خيرا ورخص في النطق علي وفق المصلحة في ثلثة
مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجات
ومن كان في مصالح الحرب فالصدق ههنا يتحول الي
النية فلا يرعي فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما
صح قصده وصدقت نيته وتجرد الخير اراده كان
صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه ثم التعريض منه
اولي وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض
الظلمة وهي في داره فقال لزوجته قولي له اخرج
وضع الاصبع عليه وقولي ليس هو ههنا واحترز بذلك عن
الكذب ودفع الظلم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم

انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح
اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني
ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان
كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا باماني الدنيا وشهواتها
فهو كاذب وكقوله اياك نعبد واياك نستعين وقوله انا عبد الله
فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلوب سوى
الله تعالى لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق
في قوله انا عبد الله اذا لم يتصف بالعبودية يعجز عن تحقيقها
مقاما فانه ان كان عبد النفسه وعبد الشهواته لم يكن صادقا
في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبده كما قال عيسى صلوات الله
عليه يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمي كل ما تقيد
قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله تعالى من اعتق اولا
عن غير الله فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار

القلب فارغا محلى فيه العبودية لله تعالى فيشغله بالله تعالى
و بمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله
تعالى ثم يجاوز هذا الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان
يعتق القلب عن ارادة تعالى من حيث هو هو بل يقنع بما يريد
الله تعالى له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله
تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق
عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا النفس موجود السيده
ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي
لم يبق فيه متسع للطلب والتماس واعتراض بل هو بين
يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى
الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده
لمولاه لا لنفسه وبعد درجات الصديقين واما الحرية عن
غير الله تعالى فدرجات الصادقين وبعدها يتحقق
العبودية لله تعالى وما قيل هذا لا يستحق صاحبه ان
يسمى صادقا لا مدعيا ذهذا يعني الصدق في القول

الصدق

الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص
ويعلم ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى
فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية و
صاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة
الاخلاص من حديث الثلثة حين سئل العالم ماذا عملت
فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت
بل اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذب به ولم يقل لم تعمل
ولكن كذب في ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق
صحة التوجه في القصد وكذلك فان الله تعالى واله يشهد
انهما فتيان لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله
وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث اللسان بل من حيث
القلب فكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن
اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد
ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على قلبه فانه كذب
في نيته وان لم يكذب فيما تلفظ به فيرجع احد معاني الصدق

الي خلق حسن النية وهو الاخلاص وكل صادق لابد وان يكون
مخلصا الصدق الثالث بصدق العزم فان الانسان قد يقدم
العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله تعالى حجا
تصدقت بجميعه او بشطره او لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت
ولم ابال ان قتلت وان اعطاني الله تعالى ولاية عدلت
فيها ولم اعص الله بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة
قد يصادفها من نفسه وهي عن بعد جازمة صادقة و
قد يكون في عزمه نوع تردد وضعف يضاد الصدق في
العزيمة وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما
يقال لفلان شهوة صادقة ويقال لهذا المريض شهوة كاذبة
مهما لم يكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة
فقد يطلق الصدق ويراد به نفي هذا المعنى فالصادق والصديق
الذي يصادق عن بعد في الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل
ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم
على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فتضرب عنقي

احب الي من ان اتامر علي قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد من
نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بان لا يتامر هو وجود
ابي بكر لمعارفه العزم واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب
الصديقين في العزائم تختلف قد يصادف العزم ولا
ينتهي به الي ان يرضي بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورايه لم
يقدم ولو ذكر له حديث القتل لاستعظم عزمه بل في الصادقين
والمرجئين من لو خير بين ان يقتل هو وابو بكر رضي الله عنه
كانت حيوته احب اليه من حيوة ابي بكر الصدق الرابع في
الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة
في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا احتقت الحقايق
وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت
الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه
ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد
روي عن انس رضي الله عنه ان عمه انس بن النضر لم يشهد
بدرا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فشق ذلك عليه وقال

اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنها ما
والله لاني اراني الله تعالى مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليريت الله ما اصنع فشهد احدا من المقام القابل فاستقبل
سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة
اني اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع
وثمانون جرحا من بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت
النضر اخته ما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الاية
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقد قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سوى على وجهه يوم احد
شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان
لقي العدو وصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس

اليه

ليه اعينهم يوم القيمة هكذا ورفع راسه حتي وقعت قلنسوته
قال الراوي فما ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله ورجل
جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب لوجوههم بشوك الطلح
اتاه سهم فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مومن
خلط عملا صالحا واخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتي قتل
فذلك في الدرجة الثالثة ورجل هو من اسرف علي نفسه
اسرافا كثيرا لقي العدو فصدق الله حتي قتل فذلك في الدرجة
الرابعة لتصدقت فبخل به نزلت ومنهم من عاهد الله لئن
اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم
انما هو شيء نوره في انفسهم لم يتكلموا فقال ومنهم من عاهد الله
الي قوله فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الي يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما
كانوا يكذبون فجعل العزم عمدا وجعل الخلق فيه كذبا والوفاء
به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس
قد تسخوا بالعزم ثم يكبو عند الوفاء لشدة عليها ويهيجان الشهوات

عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه
فقال ان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم
فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيأ لا اجده
الآن لا اراني امت ان ينقل عليها ذلك فيتغير عن عزمها اشار
بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في
المنام ملكين نزلا من السماء فقال لي ما الصدق قلت الوفاء
بالعهد فقال لي صدقت وعرجا الى السماء الصدق الخامس في
الاعمال وهو ان يحتمل حتما لا يدل اعمالهم الظاهرة على امر في باطنه
لا يتصف بهو به لا يان يترك الاعمال ولكن بان يستحي الباطن الى
تصديق الظاهر وهذا بخلاف ما ذكرنا من ترك الرياء لان المرائي
هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ويراعي قلبه على هيئة الخشوع
في صلوته ليس بقصد مشاهدة غيره ولكن قلبه عادل عن الصلوة
فهو ينظر اليه براه قايما بين يدي الله تعالى وهو في الباطن قائم
في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذا اعمال تعرب بلسان
الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في

الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس
باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان
لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا بامرهم ولا يخرج عن هذا الا
ما استوى السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا
من ظاهره ومن خفية الله حتى ان من شوهد الظاهر و
ليس بناسك الكثير ربما يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كمادا با
فيه لالة الظاهرة على الباطن فاذا خالفت الظاهر الباطن
ان كان عن قصد سمي رياء ويفوت به الاخلاص وان كان
عن غير قصد يفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة
قال زيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك
النصف فان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان
كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور واشد واما اذا السر
والاعلان في الوصف استويا فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فان خالف احدهما ان سر فهاله على سعيه فضل سوى الكل والعنا

كما حالف الدينار في السوق فاقه ومغشوشه المردود لا يقضي الدين
وقال عطية بن عبد الله فراذا وفقت سريرة المؤمن عمل الشيء
باهى الله تعالى به الملائكة يقول هذا عبدي حقا وقال معوية
بن قرة بن قوة صديق علي بكاء بالليل بسام بالنهار وقال
عبد الواحد كان الحسن اذا مر به كان من اعمل الناس به و
اذا نهى عن شيء كان من اتركهم [illegible] اوقط
اشبه سريرة بعلانيته منه وقال ابو عبد الرحمن السلمي يقول
الصدق الذي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملت
فيما بيني وبين ربي بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري
الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة
العلانية احد انواع الصدق الصدق السادس وهو على الرجاء
واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء
والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الامور
فان هذه الامور لها مبادي الاسم تظهر بها غايات
وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا عمل الشيء وتمت
حقيقته سمي صاحبها صادقا فيها كما يقال فلان صدق في القتال

ويقال هذا

لذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية بل على الغفلة
اخير من نيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشركين
في اصل الخير بل المعني به ان كل طاعة يستلزم بنية وعمل كان
النية من جملة الحيوان وكان العمل من جملة الحيوان ولكن النية
من جملة الطاعات خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود
واثر النية اكثر من اثر العمل ومعناه نية المؤمن من جملة طاعة
خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان العبد
اختيار في النية وفي العمل فهما عمل ان والنية من الجملة خير هما
وهذا معناه واما سبب كونه خيرا وشرحه على العمل فلا يفيمه
الا من فهم مقصد الدين وطريقه وميله اثر الطرق في الايصال
الى المقصد وقاس بعض الاثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك
الاترجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة
فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغذاء ولا
يفهم ذلك الا من فهم ان الغذاء مقصد وهو الصحة والبقاء وان
الاغذية مختلفة الاثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها

بالمعرفة والطاعات غذاء القلوب والمقصود شعارها وتاجها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله والمقصود لذة السعادة بلقاء الله تعالى فقط ولن يتنعم بلقاء الله الا من عرف الله تعالى عارفا بالله ولن يحب الا من عرف وانما يأنس به الا من طالع ذكره فالأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنها وعن شهواتها حتى يصير نفسه تائقة الى الخير مريدة له نافرة عن الشر مبغضة له وانما يميل الى الخيرات والصناعات اذا علم ان سعادة في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفة القلب تؤكدها بالعمل يجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترسخ الصفة وتقوى بسببها فالمشاغل التي تجلب العلم او تجلب الرياسة

لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل
بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة بها تاكد ميله ورسخ
وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر
وربما زال وانما الحق بل الذي ينظر الى وجه حسن فيميل اليه طبعه
ميلا ضعيفا لو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والجالسة
والمخالطة والمجاورة تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره
فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف
مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل
ويكون ذلك زيادة في وجهه يضعف وينكسر بسببه او
ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات
كلها هي التي ترادبها الاخرة والشرور كلها هي التي ترادبها
الدنيا للدنيا والاخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية و
الصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن
يتاكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي
بالجوارح لان بيت الجوارح وبيت القلب علاقة حتى ان يتاثر

كل واحد منهما بالاخر ويتوجع العضو اذا اصابه جراحة تالم القلب
ويتوجع القلب اذا تالم يعلم يقينا من غير من اعتبار ويتحزن
امر مخوف تاثرت الاعضاء وتغيرت الفرائص وتغير اللون
الا ان القلب هو الاصل وكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم
والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيها
فالقلب هو المقصود والاعضاء الات موصلة الى المقصود
للقلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية
واراد بالراعي القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا
دماءها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى صفة القلب فمن
هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة
افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان يكون النية من جملتها
افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير والارادة له ويخرج
من الاعمال الجوارح ان تعود القلب ارادة الخير وتوكد فيه الميل
اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فالضرورة

تكون

يريد وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه
وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته
الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى
الدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال
صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب الغرسودب
قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم
وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما ينظر الى القلوب لانها
مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة
فتصعد بها الملئكة في صحف مختمة فتقع بين يدي الله تعالى
فيقول الله هذه الصحيفة فاقبلوها ولا تردوها وجميع ثم ينادي الملئكة
اكتبوا له كذا واكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك
فيقول انه نواه وقال صلى الله عليه الناس اربعة رجل اتاه
الله علما وما لا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله

مثل ما اتاه لعلمت كما يعمل فيما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا فلم
يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله
مثل ما اتاه لعلمت كما يعمل فيما في الوزر سواء الاترى كيف شركه
بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس بن مالك
رضي الله عنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة
تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا
يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصاب بنا مخمصة الا شركونا
في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وهم معنا
قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه من هاجر ينبغي شيأ من الدنيا فهو له فهاجر رجل
فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء في
الخبر رجل قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل
رجل ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته
وفي حديث عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من غزا وهو لا يتوب الا عقالا فله ما نوى وقال رجل ابغني وانا معي

ابن سعيد سالم
فقال

فقال لا حتى تجعل لي جعل فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال ليس له من دنياه واخرته الا ما نوى وقيل الا ما جعلت
له وروي في الاسمار يليات ان رجلا من بكتبان من رمل عجلة
فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى
الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قد قبل صدقتك
وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت
به وقد ورد في اخبار كثيرة من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي من كانت الدنيا نيته
جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن
كانت الاخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته
وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم با
البيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يخرجون
على نياتهم وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انما يقتتل المقتتلون على قدر النيات وقال صلى الله عليه

وسلم اذا التقى المسلمان نزلت الملئكة يكتبون الخلق من اسمهم فان
يقاتل للدنيا فذلك ان يقاتل حمية فذلك ان يقاتل عصبية الاول تقولوا
فقتل فذلك ان في سبيل الله ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو
في سبيل الله وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف
عن ربيع بكرة اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول
في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه
اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من
تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان
ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال صلى
الله عليه وسلم من تطيب الله جاريوم القيمة وريحه اطيب من
المسك ومن تطيب لغير الله جاريوم القيمة وريحه انتن من الجيفة
واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما
افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند
الله تعالى وكتب نافع بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم انه من خاف الله

تعالى

تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى له ومن
نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية
ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي رحمه الله ما كان
اكبر همه التقوى فلو تعلقت جميع حوائجه بالدنيا لردته نيته
يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري
رحمه الله كانوا يتعلمون النية بالعمل كما يتعلمون العمل وقال
بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير
فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول
من يدلني على عمل لا ازال فيه عامل الله تعالى فاني احب
ان ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من اعمال الله فقيل
له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او
تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض
السلف ان الله عليكم اكثر من تحصوها وان دون ما تكرهون من
ان تعلموها ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين يغفر لكم ما
بين ذلك وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى لعين نامت ولا اثم

نعم

بمجهية واشتهت اي غنى فاتم وقال ابو هريرة رضي الله عنه
الناس يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم وكما ان الفضيل
بن عياض اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلوا اخباركم يبكي حتى يرد دها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا
هتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار بالنية وقال ابو هريرة رضي الله عنه مكتوب في
التوراة يقول الله ما اريد به وجهي قليله كثير وما اريد به غير
وجهي فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول
قولا فما اريد به الا الله تعالى وقول حتى ينظر في عمله ما عمل
فلم يرد به حتى ينظر في ورعه فان تورع فلم يرد به حتى ينظر
ماذا نوى فان صلحت النية فيما يحرى ان يصلح ماداون
ذلك وان اعمال الاعمال البيان فالعمل مفتقر الى النية ليصير
بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعارض

بيان حقيقة النية اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات
متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران

علم

علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته
وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه
لا يتم الا بثلثة امور علم وارادة وقدرة لان لا يريد الانسان ما لا
يعلمه فلا بد وان يعلم والا يعمل ما لم يرده فلا بد من ارادة ومعنى
الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال
او في المال فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم
غرضه ويخالفه بعض الامور واحتاج الى طلب الملائم الموافق
الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة
الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب ويهرب
فانه لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله وكذا لا
يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله تعالى الهداية والمعرفة
وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس كشف
ذلك في غرضنا فلو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلم يكفه
ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة لباعثة
عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق له ولا يمكنه التناول

لحدوث الرغبة والميل اليه ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله له
الميل والرغبة والارادة واعنى به نزوعا في نفسه وتوجها في
قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله
عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المحركة حتى
يتم بها التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة يشترط
الداعية الباعثة والداعية يشترط العلم والمعرفة او الظن و
الاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا فاذا انجزم
المعرفة بان الشيء موافق ولابد وان يفعل وسلمت عن معارضة
باعث آخر صارف عنه انبعث الارادة وتحقق الميل فاذا انبعث
الارادة وتحقق الميل فاذا انبعث انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء
فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة
فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم
الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال او في المآل
فالمحرك الاول هو الغرض المطلق وهو الباعث والغرض الباعث
هو المقصود المنوي والانبعاث هو التصدي للنية والتهاض

القدرة

القدرة بخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الآلي
انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون
باعثين اجتماعي فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون
كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد
يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما
كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا
فيخرج من التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا
واسم الاول اما الاول وهو ان ينفرد الباعث الواحد ويحرك كما
اذا هجم على الانسان سبع فكما راه قام من موضعه ذلك
من غير فكر الا عرض له من السبع كما انه راي السبع وعرف ضاريا
وانبعث نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة
عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نية الفرار من السبع لا نية له
في القيام غيره وهذه النية تسمى خاصة وتسمى العمل نحو
احلاصا بالاضافة الى اخر الباعث ومعناه اخلصت عن
مشاركة غيره ومزاجته واما الثاني وهو ان يجتمع باعثان

كل واحد مستقل بالانتهاض او انفرد ومثاله من المحسوسات
يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كل واحدة
كافية في الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يسأل قريبه الفقير
حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لو لا فقره لكان يقضيها
بمجرد القرابة وانه لو لا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم
كذلك من نفسه بان يحضر قريب غني فيرغب في قضاء حاجته
وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك
الطعام لاجل علته ودخل عليه يوم عرفة فصام ويعلم انه لو لا يوم
عرفة لكان يترك الطعام حميه ولو لا الحمية لكان يتركه لاجل من
عرفة وقد اجتمعا جميعا فقام على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق
الاول فلنسم بعد موافقة البواعث الثالث ان لا يستقل كل واحد
لو انفرد ولكن قوي بمجموعها على انتهاض القدرة ومثاله في
المحسوسات ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به ومثاله
من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب منه درهما فلا يعطيه
ثم يقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير

القريب

القريب فيعطيه فيكون اتيانه داعيته بمجموع الباعثين وهما
القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب
ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد
قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لالثواب في
التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا او
رأيا مجموعهما تحريك القلب هذا الجنس مشاركة الرابع انيكون
احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل
ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة والتسهيل و
مثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على
الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل
فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويوثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا
ان يكون الانسان وردي الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق
ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفقراء حق عليه بسبب
مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا لما اليم يفتر عن عمله وعلم
ان عمله لو لم يكن لمجاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه وهو شوب يتطرق

الى النية وليس هذا الجنس انما وضعت الباعث الثاني اعانت
يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص
والغرض الآن بيان اقسام النيات فانه العمل تابع للباعث
فليكتب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لان الاعمال
لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع بيان سر قوله صلى الله
عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله اعلم انه قد يظن ان سبب
هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر
والعمل السر افضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى
ان يذكر الله بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عمومه
كذلك ان يكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان
سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو
ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل
بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة قد لا تدوم الا لحظات
معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان يكون نية خيرا من
عمله وقد يقال ان النية مجردها خير من العمل المجرد دون النية وهو

وقيل هذا هو الخوف الصادق وحده هي أشهوة الصادقة
وقال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا الى الى قوله هم الصادقون وقال الله تعالى
اولئك هم المتقون صدقوا وقال الله تعالى ولكن البر من امن
بالله واليوم الاخر الى قوله الصابرين في الباساء والضراء
وحين البأس اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر رضي
الله عنه عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل له انا سألناك
عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان
فقرأ هذه الآية وضرب الخوف مثل لما من عبد يومن
بالله تعالى الا وهو خائف من الله خوفا يتطلق عليه الاسم
ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه
اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يضع لوزيره تعد
فرايصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه الكلة ونومه و
تتعتم عليه فكره حتى لا ينتفع باهله وولده وقد يزعج عن
الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمئونة

والتعرض لاخطار كما ذلك خوفا من درك الحذور ثم انه يخلق
النار ولا يستقر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها ولم
ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عن بن حجا
ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال لامها ولكن لكل عبد منه
حظ بحسب حاله اما ضعيف وناية بحيث اذا قوي سمى صادقا
فيه فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام احب
ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال انك لن تطيق ذلك قال
بلى اني قال فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا هو بسد الافق يعني جوانب السماء
فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل
عليه السلام بصورته الاولى فقال صلى الله عليه وسلم ما ظننت
ان احدا من خلق الله تعالى هكذا قال كيف لو رايت اسرافيل
ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين

السفلى

السفلي والاستصاغر من عظمة الله تعالي حتي يصير كالوصف
يعني كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يخشاه من العظمة
والهيبة حتي يرجع الي ذكر الحد وسائر الملائكة ليسوا
كذلك لتفاوتهم في المعرفة وهذا هو الصدق في التعظيم
وقال جابر قال صلي الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي
وجبرئيل بالملأ الاعلي كالحلس البالي من خشية الله تعالي
يعني الكساء الذي يلقي علي ظهر البعير وكذلك الصحابة
رضي الله عنهم كانوا يخافون ويما كانوا يبلغوا خوف رسول الله
صلي الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما ما
تبلغ حقيقة الايمان حتي تنظر الي الناس كلهم حمقي في دين
الله تعالي وقال ما عرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما
بينه وبين ربه الا ان بعضهم احمق من بعض وقال
صلي الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتي ينظر الي
الناس كالاباعر في جنب الله تعالي ثم يرجع الي نفسه فيجدها
احمق حاقر فالصادق قلما ذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم ذرجات

الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور
دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال
سعد بن معاذ رضي الله عنه ثلثة انا فيهن قويّ وما سواهن
ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ
منها ولا تبعت جنازة فحدثت بغير ما هي قايلة وما هو
مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم قول الا ظننت
ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم
فهذا صدق في هذه الامور وكم من اجلة الصحابة رضي
الله عنهم قد ادوا الصلوة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذه
المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمة المأثورة
عند المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تعرض الا لاحاد
هذه المعاني نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلثة صدق
التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد
لعامة المومنين قال الله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك

ذلك عند الله تعالى ايضا لان اجل ما عند الله تعالى من النعيم لذة النظر اليه
وليس فيه مزاحمة ولا مضايقة ولا يضيق بعض الناظرين
على بعض بل يزيد الانس بكثرة نعم اذا قصد العلماء بالعلم
المال والجاه تحاسدوا لان المال هو عباد الله اجسام واذا وقعت
في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب وهما
امتلاء قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر وتقصد منه
لا محالة فيكون ذلك سببا للمساءة واذا امتلأ قلبه بالفرح لمعرفة
الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره به وان يفرح به والفرق
بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد عالم يرتحل عنه الى الآخر
والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير
ان يرتحل عن قلبه واذا المال اجسام واعيان لها نهاية فلو ملك
الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم
لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه ان يفكر في جلال الله
تعالى وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك عنده الذهن كل
نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه ولا يكون في قلبه حسد
لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من
لذته بل زادت لذته بموافقته فيكون لذة هو وغيره في مطالعة عجايب
الملكوت على الدوام اعظم من لذة هذا بنظر الى اشجار الجنة وانهارها

بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة
ذاته يلتذ بدوامها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه
مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة
يلتقطونها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه
ابدا يرتع في جنة عالية رياضها زاهرة فان مرض كثرة في
العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا
حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا تظن بهم عند انكشاف الغطاء و
مشاهدة المحبوب في العقبى فانه لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة
ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة
فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تع التي لا مزاحمة فيها
في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء عن الحسد في الدنيا
والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة علليين
الى مضيق المسجين ولذلك وسم به الشيطان الرجيم اللعين وذكر
من صفاته انه حسد ادم عم على ما خصه به من الاجتباء ولما دعي
الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوار
على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل لهذا ترى الناس يتحاسدون
على النظر الى زينة الدنيا ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء

يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء
وكذلك السماء بسعة اقطارها وافية لجميع الابصار فلم يكن فيها
تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك
مشفقا ان تطلب فيها ما رخصة فيه ولذة لا مكدر لها ولا
يوجد ذلك في الدنيا الا معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته
وافعاله عجايب ملكوت السموات والارض ولا يتال ذلك في الاخرة
الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله
ولم تجد لذتها وفترعنها رايك وضعفت عنها رغبتك فانت
في ذلك معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا
يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات تختص بادراكها
الرجال دون الصبيان والمخنثين وكذلك لذة المعرفة لا
تختص بادراكها الا الرجال رجالا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد
اللذة ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن
لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك بقي مع المحرومين في
اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين بيان الدواء الذي به يبقى مرض الحسد من القلب
اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا يداوى امراض

القلوب الا بالعلم والعمل فالعلم النافع لمرض الحسد انه تعرف تحقيقا
ان الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا وانه لا ضرر ولا عليه في الحسود
في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدين والدنيا فمهما عرفت هذا
عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد
لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو انك بالحسد تسخط
قضاء الله تعالى فكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعوله الذي اقامه
في ملكه بحكمه واسكرت ذلك واستبشعته وهو جناية
على حرمة التوحيد وقذا في عين الايمان وناهيك بها جناية على
الدين وقد اضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت
نصيحته وفارقت اولياء الله وانبيائه عليهم السلام في حبهم
الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين
البلايا وزوال النعم فهذه خبايث في القلب يا كل حسنات القلب
كما يا كل النار الحطب ويمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه
ضررا في الدنيا عليك فهو انك لا تزال تتالم بحسدك وتتكدر به ولا
تزال في كمد وغم اذا عدا وكل ما يخلقه الله من نعم يفيضها عليهم
فلا يزال يتعذب بكل نعمة تراها ويتالم بكل بلية تصرف عنهم فتبقى
مغموما محزونا متشعب القلب ضيق الصدر كما تشتهيه لاعدائك
وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتخبرت في الحال

تحسدك وتمكر وتزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن
بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من
الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم
بما في الحسد من العذاب الشديد في الاخرة فما اعجب من عاقل ان
يتعرض لسخط الله تع من غير نفع ينال به مع ضرر يتحمله والم
يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير فايدة ولا جدوى واعلم
ان ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول بحسدك
بل ما قدره الله تع منها قبل وتعمة فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله
تع فلا حيلة في دفعه بل لكل شئ عنده عز وجل بمقدار ولكل اجل كتاب
ولذلك خاب من الانبياء من امراة ظالمة مسلطة على الخلق بالاذى
فاوحى الله تع اليه فر من قرامها حتى تنقضي ايامها ان ما قدرناه
في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر الى ان ينقضي المدة التي سبق القضاء
بدوامها فما فيها وما مهما لم تزول النعمة بالحسد لم يكن على المحسود
ضرر من ذلك وان كان عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت
زالت ايضا عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فان بلاء تشتهيه
اولا لمحقك فانك لا تخلوا عن عدو بحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله تع عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا
لان الكفار يحسدون المومنين على الايمان قال الله تعالى ودت طايفة من

اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود
لا يكون نعم هو يضل بارادته الفعل الغير وفان ارادة الكفر كفر فمن
اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان
يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وانا اشتهى ان
تزول النعمة عنا لخلق بحسدك ولا يزول عنك بحسد غيرك فهذا
غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من جمعي الحساد ايضا يشتهي
ان يتخلص بهذه الخاصية ولستاوي بي من غيرك فينعمه الله تعالى عليك
في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب فانما الكلام عليك شكرها
وانت بحسدك تكرهها في معناه لا زلت محسودا على نعمة فانا الكامل
من يحسد واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما
منفعته في الدين فانه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد
الى القول والفعل بالغيبة والقذف تذهب اليه حسناتك حتى تلقاه يوم
القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت فيما دنيا عن النعمة فكانك
اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان الله تعالى [illegible] فتلك
الحسنات فنقلتها اليك فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت نفسك
شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اعراض الخلق
مسألة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكل نعم معذبين مغمومين والاعداء
اعظم بما اشتفيه من الم الحسود وغاية اماني اعدائك ان يكون لي نعمة

وان

شعر

وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فطنت بنفسك ما تهوى مرادهم
ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان يطول حياتك ولكن
في عذاب الحسد لتنظر الي نعمة الله عليك فينقطع قلبك حسرا
وغما ولذلك قيل لا مات اعداؤك بل خلدوا حتي يروا فيك الذي
يكمد الازلت محسودا علي نعمة فانما الكامل من حسد؛
ففرح عدوك بغمك وحسرك اعظم من فرحه بنعمة ولو علم خلاصك
من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما
انت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما تشتهيه عدوك فاذن
اذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذا
تعاطيت ما تضرر به في الدنيا والاخرة وانتفع به عدوك في الدنيا
والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق عز وجل شقيا في
الحال والمال ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم تقتصر
علي تحصيل مراد عدوك حتي توصلت الي اداء اعظم سرور علي
ابليس الذي هو عدوك اعدائك لانه لما اراد محمدا عن نعمة العلم
والورع والجاه والمال الذي اختصه عدوك دونك خاف ان تحمد ذلك
لم فشاركه فيما لتواب بسبب التحية لان من احب الخير لاخيه المسلم
كما يحبه لنفسه في الخبر وصاحب الحاد بدرجة الاكابر فان لم
ينفعه ثواب الحب لهم فيما احبوه لكن فما ابليس ان تحب ما انعم الله به علي

عبده فاذا دنيا فتنوق بقلبه الحب فيقضه ايكر حتى لا
تلحقهم بجبك كما لم تلحقوه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم
الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم المرء
مع من احب فقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب
فقال متى الساعة يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اعددت
فقال ما اعددت لها كثرة صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فما فرح
المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر تقدم
كان بحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال انس فنحن نحب الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل اعمالهم ونرجو ان
نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب القوم
ولا يصلي ويحب الصيام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى الله
عليه وسلم المرء مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال
اذا استطعت ان تكون عالما فكن عالما وان لم تستطع ان تكون عالما فكن
متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا
تبغضهم فقال سبحان الله لقد وجد الله لكل شيء مخرجا فانظر ان لا
يكون حسدك ابليس فتوشك ان الحب ثم لم يقع به حتى يحمد
اليك وعملك على الكراهية حتى اتهم وكيف لا وحسدك ان تحاسد

رجلا

رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله وينكسف ضوءه
ليفتضح وتحبه ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض فلا يتعلم
ولا يتعلم وايّ امر يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم
اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة وقد جاء في الحديث
اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنك اي منيكف عنه
الاذى والحسد والبغضة والكراهية فانظر كيف ابعدك ابليس
عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تدري بها البتة فقد نفذ عليك
حسد ابليس وما نفذ على عدوك حسدك بل على نفسك بل لو كوشفت
بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من
يرمي جمرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على
حدقة اليمنى فينقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود يرميه ثانيا
اشد من الاول فيرجع الجمر على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه
فيعود ثالثا فيعود على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال
وهو اليه لاجح مرة بعد اخرى واعداوه حواليه يغرضون به و
يضحكون عليه فهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه لا بل حالك
في اكثر اوقاتك من هذا الجمر العايد الى راميه لم يفوتوا الا الغيب
وهي يوشك لو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم
الاثم لا يفوت وهي يوشك لو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود

يا عالم ولا تعلم لا يفوت بالموت ولعلم يسوق الى غضب الله تعالى والى
النار فالجاهل يتمنى عينه في الدنيا خير من ان يبقى له عين يدخل
بها الى النار فيذهبها لهب النار فانظر كيف تنفع الله من الحاسد
اذا اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزل عاجزا عنه ثم ازال نعمة الحاسد
اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زال
عنه تصديق القول تع ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلي بعين
ما يشتهيه لعدوه وقل ما يشمت شامت بمسلة الا ويبتلي بمثلها
حتى قالت عايشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان رضي الله عنه الا تمنى
لي حتى لو تمنيت له القتل لقتل فهذا اثم الحسد نفسه فكيف بما
يجر اليه الحسد من الاخلاق وجحود الحق واطلاق اللسان والميل
بالجوارح في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلاك الامم
السالفة فهذه هي الادوية العلمية فيها تفكر الانسان فيما يزيد
صفاء وقلبه حاضرا نظيفا من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك
نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه وينفعك عينه واما العمل
النافع فيه فهو ان يحكم الحسد وكل ما يقتضيه الحسد من قول
وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فاذا بعثه الحسد على القدح
فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر على المرء
نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كفران انعامه عليه الوفاء

تفصيل

نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وغرض
المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد المحسود واحبه
وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع و
الثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه و
يسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك
الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما يتكلفه اولا
طبعا اخرا ولا يصدر عن ذلك قول الشيطان لم لو تواضعت وأثنيت
حملك العدو على الفجور على النفاق والخوف وان ذلك مذلة و
مهانة فان ذلك مما الجانبين وتقل من غربها وتقود القلب الى
التوالف والتحاب وبه يستريح القلوب من مذالم الحسد وغم انما غضة
فهذه ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن
النفع في الدواء المر فمذالم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة
الشفاء وانما يهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء و
التقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة
الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تع وحب ما احبه وعزة النفس
وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها وعن ذلك
يريد ما يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخيبة
والطريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما ان يكون ما تريد

من خدع الشيطان
ومكايده بالمحامد
تطلعا كان او طبعا
يكسر سورة العداوة

اردبان تزيد ما يكون والاول ليس اليك وما دخل للتكلف والمجاهدة
فيه واما الثاني فالمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن
فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل
فهو قمع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على
الجاه وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها
فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان
لم يقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفية والمرض
يعود مرة بعد اخرى ويطول في تسكينه مع بقاء مواده فانه
ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة
في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يجهد
البغي على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده واما التخلي عنه رأسا فليس ممكن

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب اعلم ان المرء
مجبول بالطبع ومن آكد ما فلا يمكن ان لا تبغضه غالبا فاذ تيسر
له نعمة فلا يمكنك ان لا تكره هما حتى يستوي عندك حسن حال عدوك
وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا تزال الشيطان
ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يحملك على اظهار
الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهر كرهك فعليك بالمجاهدة
فانت اذا حسود عاص يجب عليك ان تقمع ظاهرك بالكلية الا انك

الذي لا يخيب لديك امل الآملين ولا يقل عندك نبوت المشتاقين
الهي ان كان قد دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت
الاعتراف بالذنب وسيلتي اليك فان غفرت فمن اولى منك بذلك
وان عذبتني فعدل منك هناك الهي قد جرت علي نفسي في
النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي
انك لم تزل بي يا رجائي هديا يام حيوتي فما اتوقعه عني بعد
مماتي ولقد حزت من تولي عني في حياتي يا حسنا ان يسعدني
عند مماتي بغفرانك الهي كيف ايبس من حسن نظرك بعد مماتي
ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني
فان محبتي لك قد اجارتني فتولى من امري ما انت اهله وعد
بفضلك علي من غفرة جهلي الهي لو اردت اهانتي لما هديتني
ولو اردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما هديتني وادم لي
ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري
الهي لو لا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولو لا ما عرفت
من كرمك ما رجوت ثوابك وقد ال الخواص صدد خلقا على رحلة العابدة

على رجاله العابد فوكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت
وصلت حتى انحنت وكانت تصلي قاعدة فسلطنا عليها ثم
ذكر نا بها شيأ من الغول يهجمون عليها الامر فتمعقت ثم قالت
على بنفسي بل فؤادي وكبدي والله لوددت ان الله
لم يخلقني ولم اك شيأ مذكورا ثم اقبلت على صلوتها فعليك
ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطلع احوال
الرجال والنساء من المجتهدين ليتبين هذا لك ويزيد
حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تنظر اكثر
من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكاية المجتهدين غير محصورة
وفيما ذكرناه كفاية لمريد فان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة
على كتاب حلية الاولياء وهو مشتمل على شرح احوال الصحابة
والتابعين ومن بعدهم وما لو توقف عليه يتبين لك بعدك
وبعد اهل عصرك من اهل الدين وان حدثتك نفسك بالنظر
الى اهل زمانك زادك صيحونا وسخر وامنك فوافقهم فيما هم
فيه فنزل بحريم عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت

طابت

طابت فايا كان تتذكر بجبل غرر رهاد تخدع بتزويرها وقل لها
ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد فتبتدر اعلى مواقعهم
وم باخذ واحذرهم بجماع بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقهم
وتركب سفينة تنجو بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان
المصيبة اذا عمت طابت ام تترك مواقعهم وتستعجل في
صنيعهم وتاخذ حذرك مما دهاك فاذا كنت تركت مواقعتهم خوفا
من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهرب من
عذاب الابد وانت متوعد فيه في كل حال ومن اين تطيب
المصيبة اذا عمت واهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى الجمع
والحضور هيهات يملك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث
قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون
فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك ان تحملها على الاجتهاد
فان استعصت فلا تترك معاتبتها وتوبيخها وتعريفها
وسوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها المرابطة
السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدوك

نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء مبالغة الى
الشر فرارة عن الخير وكلما بترتيبها وتقويمها وقودها
بسلاسل الوعظ الى عبادة ربها ومصالحها ومنعها عن شهواتها
وقطامها عن لذاتها فانها اهملتها تمردت وجمحت ولم تنقد
بعنان ولا زمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل و
الملامة كانت نفسك هي اللوامة التي اقسم الله تعالى بها
وربما ان تقصر النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في
زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلت ساعة عن تدبيرها ومعاتبتها ولا تشتغل بوعظ غيرك مالم تشتغل اولا
بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن
مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني
وقال تعالى يوذكر فان الذكرى تنفع المومنين وسيل كان حمل
عليها فتقرر عندها حملها ومما قتها فانها تتقرر بقطعها
بفطنتها وعدتها وبشدة انفتها واستنكافها اذا سيقت
الى الحق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والتزكر والفطنة

XCIX/.

Hujū olam in S. de
Anct. al. Gharnili
partis IX capit IX

HB.

A
j
99.(O)10
(15)